الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

تجليات الذات الساردة بين السيرة والتخييل في رواية رحلة قريش – الخائف–

لإدريس خليفة

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): رميساء بوناية

الطالب (ة): جيهان قرايرية

تاريخ المناقشة: 01 / 10 / 2020

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
نور الدين مكفة	أستاذ محاضر قسم ب	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
شوقي زقادة	أستاذ محاضر قسم ب	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر قسم	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/2019

مقدمـــــة

مقدمة

تشكل الرواية محور العلاقة بين الذات والعالم وبين الحلم والواقع ، وهي فن التخييل الذي يثري الحياة بمعانيها وتوجهاتها و دفقات مشاعرها ، هذا أن ما تحمله صفحات الرواية و شخوصها هو تعبير عن الذات المبدعة في تفاعلها مع العالم الخارجي بوساطة السرد الذي يجمع الواقع بالمتخيل ، إضافة الى أن الرواية عالم يتحكم فيه الروائي ، إذ يختار بذرة نصه و يشكلها ثم يخرجها للمتلقين كاملة في قالب فني تحدده طريقة بناءه للأحداث و الى جانب هذا فإننا نجد عددا من الروايات العربية التى تتغنى بخطاب الذات ، و قد أصبحت الفنون النثرية الجديدة حافلة بمتون سردية تمثل الذات فيها محورا رئيسيا لا يمكن اقصاؤه .

وقد برز نوع جديد من الكتابات السردية الذي يجمع بين فني الرواية و السيرة الذاتية و قد حظيت هذه القضية الأدبية بحظ وافر لدى النقاد ، وقد أستقبل بحفاوة واسعة من قبل الكتاب و القراء خاصة و أن هذا النوع صار فنا أدبيا مهما يغرق فيه الكاتب بالسرد الذاتي المتعلق بدواخله ، مصورا كل ما يصطرع فيها وقد يتستر و يخفى ذاتيته خلف قناع الرواية معلنا عن تجربة انسانية تحفظ حياة الأشخاص ، و عليه تعتبر رواية رحلة قريش " الخائف " ل ادريس خليفة مدونة بحثنا أنموذجا لهذا النوع السردي ، نظرا لما تتوفر عليه من عناصر فنية تخدم غاية البحث ، فالذات المبدعة فيه تظهر و تختفى حسب مقتضى الحاجة و الظروف و هذا ما سيتم التركيز عليه ، محاولين البحث في علاقة النص بصاحبه و رصد كيفية تصوير الذات لها و عن مدى صدق الكاتب في نقل الحقيقة الخاصة به ، و قد جاء بحثنا موسوما بعنوان : " تجليات الذات الساردة بين السيرة و التخييل في رواية رحلة قريش (الخائف) لـ ادريس خليفة " وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع و الجنس الروائي يرجع تحديدا الى أهمية هذا الفن ، اذ تعتبر الرواية المعاصرة من أهم الابداعات السردية بالإضافة الى محاولة اعطاء دراسة جديدة لهذه الرواية حديثة الظهور و كذلك الى الرغبة في معرفة مكونات هذا النص السردي من حيث الشخصيات و الزمان و المكان و سبب اكتساح الذات كصوت سردي غالب في بنية الرواية ، زد على ذلك محاولة التعمق في الانتاج الروائي الجديد و رغبتنا في ولوج عالم الرواية و الكشف عن التقاطع الخفى بين الرواية و كتابات الذات و ما يخلقه من متعة أدبية للقارئ مركزة على جوانب واقعية من حياته .

و قد سعى هذا البحث الى الاجابة عن بعض التساؤلات الآتية هي :

إلى أي مدى يمكن للذات وهي تعايش وتعتاش على الواقع أن تنجز تخييلها الذاتي المتعلق بمسارها الوجودي في إطار ذاتية المسار التخييلي الموازي للواقع؟

وما هي حدود اشتباك العنصر التخييلي مع الذاتي؟ وهل تعد رواية رحلة قريش " الخائف " تنفيسا لذات مؤلفها؟ وهل يمكن أن تكون سيرة ذاتية وتخييلا ذاتيا في الآن نفسه؟

وحسب ما تقتضيه مجريات البحث في هذا الموضوع فقد بنى البحث على خطة تشمل:

مقدمة مدخل و فصلين ، أتى المدخل معنونا ب " ماهية الذات " تناولنا فيه مفهوم الذات و أنواعها و كذا حضورها في المتن الروائي ، و تضمن الفصل الأول المعنون ب " ملامح الكتابة الذاتية بين السيرة و التخييل " وهو بمثابة فصل نظري : ماهية و أنواع السيرة و مفهوم رواية السيرة الذاتية و أنواعها و مكوناتها الفنية اضافة الى انفتاح الخطاب السردي على الأجناس و الميثاق السيري و النزوع الذاتي و تطرقنا فيه كذلك الى ماهية و وظيفة التخييل الذاتي و رهانات التخيل السير ذاتي في السرد و أخيرا الواقع و المتخيل في السير الروائية ، و جاء الفصل الثاني الذي تمت فيه الدراسة التطبيقية على رواية رحلة قريش " الخائف " : بداية بالتعريف بالكاتب و كتابه مرورا بالميثاق السير ذاتي و التخييل الذاتي و الميثاق الروائي الذي تضمن الشخوص الحكائية و المفارقات الزمنية و الفضاء المكاني وصولا الى تجليات الذات الساردة و تمظهراتها في المتن الروائي وصُورها ، و ذيل البحث بخاتمة تضمنت النتائج التى توصلنا اليها من الدراسة .

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفى التحليلي من خلال وصف الشخصيات و رصد تموضوعات الذات و تحليل مختلف الأحداث التى مرت بها الرواية من بدايتها الى نهايتها ، و لجمع هذه العناصر اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع أهمها تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا ل منال العيسى و صور الذات في مرايا السرد ل منية قارة بيبان ، السيرة و التخييل في رواية أنثى السراب ل واسينى الأعرج رسالة ماجيستر ل عبد القوي أحمد ، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية روايات فضيلة الفاروق انموذجا أطروحة دكتورا ل سمية عطوى ، الخطاب السيرذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة أطروحة دكتورا ل محمد شهيري .. و قد أسهمت هذه المراجع بطريقة مباشرة في اضاءة و اثراء هذا البحث ، و على الرغم من كل الصعوبات التى واجهتنا عند القيام بدراستنا منها انعدام الظروف الملائمة للبحث عن المعلومات الى جانب قلة الدراسات و غلق أبواب المكتبات داخل الجامعات نظرا للظروف الصحية التي تمر بها البلاد في ظل جائحة كورونا .

ولا يفوتنا في الأخير الا أن نتقدم بجزيل الشكر و أسمى عبارات الامتنان و العرفان للأستاذ الكريم شوقي زقادة عن كل النصائح و الملاحظات الدقيقة التى قدمها لنا ، كما نتوجه بجزيل الشكر الى الكاتب ادريس خليفة على توجيهاته السديدة فلهما منا فائق الاحترام و التقدير .

أملين في الأخير أن تكون مذكرتنا هذه فاتحة لدراسات مستقبلية أخرى و مبادرة متواضعة منا قد حققنا من خلالها معرفة و فائدة مرجوة لكل طالب علم وقعت تحت يديه .

مدخل:

ماهية الذات

تمهيد:

إن مسألة الذات ليست مستحدثة بل موجودة منذ وجود الانسان، وهذا لأهميتها في فهم سلوك الانسان ومزاجه المتقلب (حزن، فرح، غضب، أمل،....الخ) وغيرها من المفاهيم التي تؤثر على الذات سلبا وايجابا، لذا قيل عن الذات أنها: "حقيقة سيكولوجية وروحية"[1]، وقد ظهرت فكرة الذات لأول مرة على يد الباحث النفسي "وليام جيمس" (1842-1910) وسماها الأنا العملية، فما هي الذات إذن؟

1-مفهوم الذات:

أ-لغة:

تحمل لفظة "الذات" معاني عديدة سواء القرآن الكريم أو في المعاجم العربية القديمة، وعرف بالباطن والمضمرات، والحال، والنفس، وظروف الزمان والمكان وغيرها من المعاني.

جاء في "لسان العرب" لابن منظور: ذات الشيء حقيقته وخاصته... يقال عرفه من ذات نفسه كأنه يعني سريرته المضمرة... قال ابن الانباري في قوله عز وجل " **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ". معناه بحقيقة القلوب من المضمرات[2].

كذلك جاءت لفظة الذات تحمل معنى "الجهة" في قوله تعالى: " **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ** "[3].

أما المتتبع للمفهوم العام للذات، يجد بأنه بتموضع حول التداخل القائم بين العديد من العوامل المتمثلة في الصورة المكونة التي يشكلها الفرد من نفسه، والتي تميزه عن بقية الأفراد الآخرين، وكذلك عن الانطباعات المتولدة لدى الآخر ازاء ذلك الفرد، أو في البناء المعرفي الذي يتكون من أفكار الانسان عن مختلف نواحي شخصيته، فمفهومه عن جسده يمثل الذات البدنية، وعن فكره الذات العقلية، وعن سلوكه الاجتماعي مثال للذات الاجتماعية....[4]، ومن هنا نستنتج أن إدراك الذات ووعيها بذاتها كتشكل انطلاقا من الفكرة التي تتبلور في ذهنه حول ما يقابله من أشياء.

---

[1] ندى بنت محمد الحزامي، الذات في شعر حسين سرحان، دار النشر سرحان، ط1، 2015، ص14.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، باب الذال، مج 3، ج 17، دت، ص1478.

[3] سورة الكهف، الآية (17) .

[4] أسامة خيري: تطوير الذات، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1، ص41.

كما نجد أن لفظة "الذات" في قواميس الفكر الأوروبي ومصطلحاته الفلسفية تعنى المقابل للآخر أي تقابل تعارض أو تضاد ، أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه ب identite: وهو ما نترجمه اليوم بلفظ الهوية أو العينة، أي كون الشيء هو عين نفسه[1]، فنلاحظ من خلال هذا الطرح أن ماهية الذات (الأنا) لا تتحدد إلا في علاقتها بالآخر المقابل لها بمجموعة الألفاظ التي يعبر عنها والتي تكون مطابقة لها أي تحمل معناها.

ب-اصطلاحا:

يستعمل مصطلح الذات بصورة عامة ليشير إلى كيفية تفكير الفرد حول تقييم وإدراك ذاته، إذ من أجل أن يكون الفرد واعيا بذاته فإنه عليه أن يكون مدركا لها بشكل جيد.

وتجدر الإشارة هنا إلى صعوبة تعريف مصطلح الذات لتشابهه مع مصطلحات أخرة (التنفس، الفرد، الأنا، الفلسفة وغيرها)، إلا أن اختلاف القصد وارد لاختلاف الحضارات والأزمنة، إذ لم يعرف الانسان الذات كما عرفها في الوقت الحاضر من حيث كونها مصطلحا نفسيا له دلالاته.[2]

يلمس المتصفح لمعجم الكلمات الصوفية اقتران مصطلح "الذات" بالألوهية، إذ الذات وجود الحق المحض وحده عينه لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا الهرم المطلق وهو الشيء المحض، فلا يحتاج في أحدتيه إلى وحدة وتعين يمتاز به عن شيء أي لا عين غيره فوجدته عين ذاته.[3]

أما الغزالي في القرن الحادي عشر ميلادي، يقول "أن للنفس خمس وجهات: النفس الملهمة، النفس اللوامة، النفس البصيرة، النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء"[4]، اعتبر الأربع منها حميدة بينما الخامسة غير ذلك.

وتعني الذات عند الأدباء والنقاد -عموما-التعبير عن نزعات النفس الإنسانية بأسلوب تظهر فيه من خلاله "العلاقة المباشرة بين النص والذات المنشئة من جهة إحالته على الشاعر المنشئ له، بتعبيره -عادة-على ضمير المتكلم مباشرة".

---

[1] محمد عابد الجابري، الإسلام والعرب (الأنا والآخر)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ج1، ط1، ص21.

[2] ندى بنت محمد الحزامي، الذات في شعر حسين سرحان، ص14.

[3] ينظر: أحمد النقشندي الخالدي: معجم الكلمات الصوفية مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 1997، ص21.

[4] قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين الظرية والتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص15.

1-الذات في علم النفس:

تعتبر الذات من أهم الموضوعات التي يدرسها علم النفس، وكان "وليام جيمس" William James (1842 - 1910) من الأوائل الذين اهتموا بالذات، والذي يرى أن " النفس شعور ممتزجة واتجاهات منها صفة ديناميكية بمعنى الاحتفاظ بالذات والبحث عنها". وهذا يعني أن الذات في علم النفس مفهوم معقد ويمكننا فهمها من خلال سلوك الانسان.[1]

أما سيغموند فرويد sigmund freud (1856-1939) فهو يعتقد أن ما ينتج من الشخصية من سلوك هو ناتج عن الجهاز النفسي المكون من ثلاثة أقسام ضرورية ومكملة لا يمكن الاستغناء على أي واحدة منها تتمثل هي: "الهو، الأنا، الأنا الأعلى"، **الهو:** يمثل الجزء الأساسي في بناء الشخصية (ويتمثل في الغرائز ويهدف إلى إشباع اللذة)، **الأنا:** يمثل الضمير ويعتبره فرويد شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالا بين الهو والانا الأعلى، فهو يقوم بمهمة حفظ الذات من الوقوع في الخطأ "مبدأ الواقع" [2]، **أما الأنا الأعلى:** فهو مثالي يتجه نحو الكمال وليس اللذة، كما عرفها فرويد بأنها هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة فهو يمثل علاقتنا بوالدين.

2- الذات فلسفيا:

نال مصطلح الذات في مجال الفلسفة اهتماما واسعا، وقد شكلت الفلسفة الغربية حقلا معرفيا خصبا لتحديد ماهيته بعد أن ربطته بالإنسان. فنجد "روني ديكارت" (1596-1950) يعتبر أن الفكر مرتبط بالوجود، "الأنا" يكون التفكير، فعندما يكون "الأنا" يكون التفكير وعندما يكون التفكير يكون الوجود، فهو ربط فكرة "الأنا"، بالوجود وتوصل إلى: "إني أعرف إني أفكر، وأشعر بتفكيري، فأنا أعرف أني موجود".[3]

إن تشكل الذات وتكونها لا يكون معزولا عما حوله، فالذات ترتبط بالآخرين. لذلك ركزت مختلف النظريات الفلسفية المهتمة بمفهوم الذات على علاقتها بالبيئة والآخرين، ومن هنا ينطلق "ليفيناس" Emmanuel Levinas (1906-1995) من الذات كما فهمتها الظاهراتية في ملموسيتها واستمتاعها

[1] منال بنت عبد العزيز العيسى، الذات المروية على لسان الأنا، دراسته في نماذج الرواية العربية، أطروحة دكتورا، جامعة الملك سعود، كلية الأدب، 2011، ص22.

[2] سيغموند فرويد: الأنا –الهو: تر محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982، ص16.

[3] أس رابورت، مبادئ الفلسفة، تر أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، 2012، ص30.

الأولى بالوجود، وهذه الذات تدخل عبر اللغة والخطاب في علاقة بينية مع الآخرين، ويجبرها وجودها معهم على أن تولي اهتماما لما تقول وتفعل. هناك في علاقة البينية الذات البينية اعتذار دائم ودفاع عن النفس، يفرضها الدخول في علاقة اجتماعية.[1]

كما لا يفوتنا ما تطرق إليه "جورج بركلي" George Berkeley (1685-1753) عن الذات وكيف رآها، حيث يرى " أن الكون بسره لا يعدو أن يكون تمثلات للذات البشرية أحيانا، وإلاهية أحيانا أخرى وذلك على اعتبار أن وجودها شرط لوجوده، وعلى اعتبار مبدئه الشهير الذي يقرر فيه أن تكون هو أن تكون موضعا للادراك.[2]

هذا الفهم الخاص بالذات يتخذ شكلا آخر عند "وليام جيمس"، حيث يرى الذات الإنسانية من منظوره الخاص، فيقول أن الانسان من الذات بقدر عدد الذين يعرفونه من الاس، فله ذات معينة لزوجته، وذات أخرى لأولاده، وذات ثالثة لزميله في العمل، وذات رابعة لربه" [3].

لقد كانت رؤية الذات عند "وليام جيمس" محددة في أسلوبين لدراسة الذات، الذات العارفة واعتبرها لا قيمة لها في فهم السلوك إذ هي تتضمن مجموعة من العمليات كالتفكير والادراك والتذكر، أما الذات كموضوع هي الذات التجريبية العملية وتتضمن:

أ-**الذات المادية:** وهي تتضمن جسم الفرد وأسرته وممتلكاته.

ب-**الذات الاجتماعية:** وتتضمن الانفعالات الفرد وجهة نظر الآخرين نحو الفرد.

ج-**الذات الروحية:** وتتضمن انفعالات الفرد ورغباته.[4]

3-الذات اجتماعيا:

العلاقة بين الذات وعلم الاجتماع قديمة، فعلم الاجتماع هو العلم الذي يدرسها من خلال محيطها، ولذا تعتبر "الذات" الأنا فرد واع لهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط، لأن المحيط هو الذي يؤثر

[1] جوديث بتلر، الذات تصف نفسها، تر، فلاح رحيم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015، ص23.

[2] نجيب الحصادي، جدلية الأنا والآخر، الدار الدولية للنشر، التوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص49.

[3] قحطان أحمد ظاهر،مفهوم الذات بين النظرية و التطبيق ، دار وائل للنشر و التوزيع ، الاردن ط1 ، 2004 ، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص17.

في الانسان ويتأثر به[1]. وبهذا فالعلاقة بينهما تكاملية، فلا يمكن فهم الذات إلا من خلال المجتمع الذي تنتمي إليه وتعيش فيه، فهو يؤثر فيها سلبا وايجابا، فإذا كانت نظرة المجتمع إيجابية تتولد إليه نظرة عن ذاته تكون في سياق إيجابي، أما إذا كانت نظرة المجتمع سلبية، فإن هذه النظرة في نهاية المطاف قد تؤدي إلى تغيير في السلوك، لأن الذات تقاس بالمجتمع وبنظرة الآخرين لها.

فنجد لوسيان غولدمان Goldman (1913–1970) يربط بين الذات المبدعة، وبين الذات الاجتماعية فهو يجعل من الذات المبدعة تعبيرا من خبرة فردية وجماعية في آن واحد، فهو يحاول أن يبتعد عن كل تصور خاص بالذات المبدعة "لأن الذات التي يتحدث عنها قابلة للانحلال في ذوات أخرى، بل أنه يؤكد عدم الالتفات كثيرا إلى المقاصد المعلنة عن الذات، فردية كانت أم جماعية"[2]

ومن هنا فإن الذات التي يقصدها جولدمان ليست هي الذات المبدعة بذاتها بل هي الذات الكاشفة عن بنى اجتماعية واقتصادية تنتمي إليه ومن ثم لا تهتم الدراسة بالوقوف على مفهوم خاص للذات عند جولدمان لأن الذات المبدعة لا يمكن لها أن تنشأ إلا في ظروف اجتماعية. وهكذا فإنه لا يخلق الأفراد المبدعون العمل القي، إنما الخالق مجموعات اجتماعية ترتبط بطبقة اجتماعية موافقة لها.[3]

- مفهوم الذات في الدراسات الأدبية:

اتفق الباحثون على صعوبة تحديد معنى للذات، لأن البحث فيها بحث دقيق ومتشعب بين علوم إنسانية كثيرة، لذلك يصعب ضبط مفهومه، باعتباره مفهوما مراوغا يستعصي على التعريف الواحد الاصطلاحي، لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، العلوم السياسية) ويتخذ في كل من هذه العلوم معنى مختلفا ورؤية جديدة.[4]

وقد حاول العديد من الدراسين العرب التأكيد على أهمية الذات وحتمية ظهورها في الأثر الأدبي باعتبار أن الفعل القولي في مجمله ذاتي، ومن ثم فليس ثمة من خطاب في مأمن من سلطة الذات وإن اختلفت القرائن الدالة عليها، وهي متحققة وإن تفاوتت على قدر تحقق الاختبار في الخطاب.[5] كذلك ارتبط

---

[1] منال بنت عبد العزيز العيسى، الذات المروية على لسان الأنا، ص29.

[2] دراج فيصل، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999، ص45.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الانا، ص40.

[5] أحمد حيزم، في مسألة الذات وأحوالها في ديوان البحتري، موارد تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005، ص9–10.

الوعي بالذات بالوعي بالعلم لأن الوعي بالذات هو الطريق الموصلة إلى الوعي بالعالم، والسبيل إلى انتزاع الذات البشرية من سلطة الحياة الغريزية التي تشير على وتيرة واحدة.[1]

وقد أشار الحميري إلى الفرق بين الذات المبدعة والذات المؤلفة، وأن الأولى هي الأهم، لأنها هي الذات الحاضرة في التجربة الأدبية بصفته موضوعا وهي أيضا الذات الفاعلة. لذلك يمكن إخضاعها للنظر والتحليل على الجانبين الموضوعي والفني.[2]

يحمل الأدب رؤية مبدعة للحياة، وينقل موقفه من حوادثها وقائعها، فذات الأديب تشاهد وتتأمل، ثم تشكل رؤى مواقف خاصة، فالأدب بالنسبة إلى الكاتب والقارئ ليس وسيلة للتعبير، للخروج عن الذات، بل وسيلة ليكتب ذاته ويحدث ذاته.

ويعد الشعر فنا ذاتيا لارتباطه بالعاطفة والوجدان، فاختلاف أغراضه يتطلب حضور الذات، والشاعر على خلاف الراوي، حريص على أن يلون ألفاظه وصوره الشعرية بعواطف وتلميحات نفسية، فالذات الشاعرة تختلف عن غيرها من الذوات. لهذا عد الشعر منجزا إبداعيا إنسانيا غير عادي. وقد أرجعها الاغريق والرومان إلى ربات الشعر كمصدر للإلهام الشعري، وأرجعها العرب إلى "شياطين الشعر" أي أن لكل شاعر هاجسا وجنيا يصدر عنه ويكون أداة له.

كما وجدت الذات الأنثوية العربية في الشعر ملاذا يخلصها من مخاوفها، والسجن المفروض عليها، حيث أنها حاولت اثبات وجودها، وتحرير ذاتها، تقول "فدوى طوقان" عن تجربتها الشعرية: " لقد جملني وجودي داخل جناح الحريم المغلق أتقلص وأتكمش في قمقم ذاتي، وصرت لا أملك إلا التحديق في مرآة هذه الذات".[3] وهكذا عكست نصوص الشاعرات العربيات هموم الذات الأنثوية وعبرت عن آلامها وآمالها. فالذات إذا مصدرا خصبا لتمثل صراعات الأديب ومنبعا وافرا لوحيه وابداعاته.

وقد ظهرت ثلاث محاولات لتعريف الذات وهي:[4]

---

[1] جليلة طرطير، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي "بحث في المرجعيات"، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص668.

[2] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص41.

[3] حاتم الصكر، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع،الأردن، ط1، تموز 1994، ص207.

[4] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص41-42.

- ✓ **المحاولة الأدبية:** يرى فايفوركون مثلا أن مصطلح الذات هو الأكثر انتشارا في اللغة الأدبية، وأكثر استخداما في الدراسات الأدبية ذات الطابع النقدي.
- ✓ **المحاولة الفلسفية:** "أماولاس لابين" فهو يقترب في تعريفه للذات من المفهوم الفلسفي، فيربط بين الذات ومظاهر السلوك الدالة عليها، ويقول: "مفهوم الذات كما سيستخدمه الأدباء المتخصصون عامة هو مجموعة من الشعور والعمليات التأملية التي يستدل عنها بواسطة سلوك أو ظاهرة.
- ✓ **المحاولة السانية:** يذهب أحمد حيزم في حد ذاته إلى ما ذهب إليه إميل بينفيست من وجهة نظر لغوية، فهي تتمثل في كفاءة المتلفظ على أن يتنزل في خطابه ذاتا. وهذه الذات تشكل وتنمو في ثمار تجربة الحياة وحين تدخل ضمن الخطاب الأدبي فإن تلك العناصر هي التي تمكن من نقل اللغة إلى خطاب.

ويشير حيزم إلى أنه يستخدم "الذات" و "الأنا" و "الشخص"، بمعنى واحد لذلك يفرق حيزم بين الأنا النصية والأنا التاريخية، ليؤكد على أهميته التشكيل النصي "للأنا" الذي يمنينا تشكله النصابني وصور الأنا التي يحولها الخطاب.

- مفهوم الذات في الدراسات الروائية:

تعتبر الرواية أكثر الأجناس الأدبية قدرة على التعبير عن الذات وهذا راجع لطول حجمها، وتعدد شخوصها وأحداثها، وكذلك زمانها ومكانها يقول عبد الله أبو هيف هذا: "إن فن الرواية بحد ذاته أقرب إلى الفنون القولية إلى عمليات الوعي الذاتي بمعناها الجمعي والفردي"[1]

وقد بدت الرواية من أكثر الأجناس الأدبية احتفاء بالذات سواء أكان ذلك في مضامينها أم في تشكيلها الفني، وقد حاول النقاد الوقوف على الملامح التفوقية التي جعلت من هذا الجنسي الأدبي الأكثر قدرة في التعبير عن الذات العربية بكل ملامحها الاجتماعية والسياسية والتاريخية.[2]

ويرى محمد برادة أن الرواية هي شكل تعبيري مرتبط (أساسا بالحوار مع الذات ومع الآخر على اختلاف تجلياته ومناطقة)[3] وهي عنده وسيلة من وسائل ابراز الذات (المتصلة بميلاد متعسر للفرد والفردانية بوصفها قيمة إيجابية).[1]

---

[1] عبد الله أبو هيف، الجنس الحائر "أزمة الذات في الرواية العربية"، ط1، بيروت، رياض الصلح للنشر، 2003، ص21.

[2] محمد براده، الرواية العربية والآخر "مجلة أوغارين"، ع6، 2006، ص16.

[3] محمد براده، الرواية العربية والأخر، ص17.

وبهذا يصف حسن النعمي الرواية بأنها ذاتية الطابع قائلا: (وهي ذاتية حيث هي منظور كاتبها)[2]

وهذا بلا شك يؤكد ما ذهب إليه النقاد من استحواذ الرواية بوصفها جنسا أدبيا على قيمة الذات استحواذا خضع في مجمله لرؤية وتوجه المبدع من خلال الأطر الأيديولوجية التي تحكمه، لذلك وجدت أن هوية الذات الروائية قد حصرها النقاد في اتجاهين: أولهما يعنى بالتعبير عن الصراع الحضاري والسياسي الذي تعيشه الذات العربية، وثانيهما يبحث عن هوية الرواية العربية وتأصيل جذورها مقال الرواية العالمية.[3]

وبهذا فإن الرواية من بين أهم وسائل بروز الذات، وذلك باستعمال ضمير المتكلم "الأنا" والذي يعني "الذات" أي بمعنى نفسي وفي مقابل ذلك الغير الذي اختلف عنه فهو (الشخص الذي يقول القول الذي يتضمن الصيغة اللغوية أنا).[4]

2-أنواع الذات:

يعد وليم جيمس من الكلاسيكيين الذين أولوا أهمية بالغة في دراسة الذات، فهو العالم الأول الذي تحدث عن أنواع الذات ووجد أن الفرد يمتلك عدة ذوات وقسمها إلى ثلاثة أبعاد هي:[5]

أ-الذات الواقعية: Actualself

ويقصد بها الفكرة التي يحملها الفرد اثر إدراكه لقدراته ومكانته وأدواره في العالم الخارجي، أي أنها مفهوم الفرد لنوع الشخص الذي يعتقد أنه عليه، فقد تكون لديه صورة عن ذاته كشخص له كيان... وبخلاف ذلك قد تكون له صورة سلبية عن عجزه.[6] فالفرد يدرك ذاته انطلاقا من الصورة التي تتشكل لديه

---

[1] المرجع السابق، ص17.

[2] حسن النعمى، الرواية السعودية واقعها وتحولاتها، ط1، الرياض، وزارة الثقافة والاعلام، وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، 1430هـ، ص9.

[3] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المرورية على لسان الأنا، ص43.

[4] أسابوت ذهبية، تشكل الذات في رواية الحمار الذهبي أبوليوس لوكيوس النوميدية، سيميائية ثقافية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص30.

[5] أميرة بوقلمونة، أزمة الذات في الرواية التاريخية، رواية ورحلة البحث عن المهدى المنتظر، لعز الدين حلاوجي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018، ص22.

[6] غازي صالح محمود وشيماء عبد المطر، مفهوم الذات، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص14.

حول قدراته ونجاحه وفشله في مجتمعه، هذه الصورة قد تكون إيجابية أو سلبية يصل في النهاية إلى معرفة ذاته على أنها متفوقة أم عاجزة.

ب-الذات الاجتماعية: Socialself

هذه الصورة المشكلة تكون لها علاقة بالمجتمع الذي يعيش فيه، فالأحكام التي يطلقها مجتمعه عنه تجعله يدرك ويعني ذاته سواء كانت هذه الاحكام إيجابية أو سلبية، فإن كانت نظرة المجتمع إيجابية تتولد لديه نظرة عن ذاته تكون في سياق إيجابي، أما إذا كانت نظرة المجتمع سلبية فإن هذه النظرة في نهاية المطاف قد تؤدي إلى تغيير في السلوك، لأن الذات تقاس بالمجتمع وبنظرة الآخرين لها، ومن خلال نظرة الآخرين لها يتحدد مفهومها.

ج-الذات المثالية: Ideatself

وتتمثل هذه النظرة في الطموح التي تطمح الذات أن تصل اليه أو أن تكون عليه فإن كان الفرد يتخيل نفسه في أعماق ذاته فتكون له مثله العليا واتجاهاته وقيمه وتوقعاته وأهدافه ومستويات طموحه التي يرغب في تحقيقها...إن الذات المثالية تبنى على تقدير واقعي لقدرات الشخص الحقيقية ونواحي قصوره، فإنها تستخدم كمرشد لتوجيه سلوك الفرد.[1] وبالتالي فالذات هنا تدرك ذاتها من خلال النظرة التي قد تكون واقعية أو غير ذلك، فترقى إلى المثل الأعلى وهنا تصل إلى درجة التخيل فتكون الصورة التي تريد أن تكون عليها.

3-حضور الذات في السرد الروائي:

نحضر الذات في الرواية من خلال الشخصية والسارد (الراوي والحاكي) وغيرها من المصطلحات. وقد يحتل السارد مكانة مرموقة في العمل الأدبي فهو مثل الشخصية كائن ورقي من صنع خيال الكاتب، وقد يعتبر السارد راوي القصة وحاكمها سواء كانت حقيقية أو خيالية فهي (الذات الفاعلة لعملية التلفظ التي يمثلها الكاتب)[2] ،وقد يكون السارد غالبا غير الكاتب، كما يمكن أن يكون هو الكاتب نفسه مثل ما هو في السيرة الذاتية التي يكتب فيها الكاتب عن حياته الخاصة، أو عن شخصية من الشخص المعروفة وذلك من خلال ضمير المتكلم (أنا) ويمكن أن يختفي السارد وراء أقنعة تروى

[1] المرجع السابق ، ص15.

[2] مصطفى بوجملين، ثنائية السارد والمسرود اليه، في كتاب نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع10، الجزائر، 2014، ص258.

الأحداث لذا يمكن أن تكون شخصية من الشخصيات الروائية تتحدث بلسان الشخصية وتتحدث بعواطفها وتنقل المشاهد بعينها.

لا تتحدد الرواية بمضمونها فقط ولكن بالطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون والطريقة التي يقدم بها المضمون تعنى الوسائل التي يختارها الروائي لتقديم روايته للمروي له، باعتبار أن الحكى هو قصة محكمة تفترض وجود راو ومروى له، فالراوي هو الشخصية الروائية التي بدونها سيبقى الخطاب السردي في حالة احتمال (ولن يتحول لحقيقة ما دمنا لا نستطيع تصور حكاية بدون سارد).[1]

فالكاتب الواقعي هو الشخص المادي التاريخي الذي يتحمل مسؤولية النص الفعلية بعد انتاجه إياه، وهو الذي يوجد خارج مكان وزمان النص الذي أنتجه مع محافظته على خط تماس مع ذلك العالم الروائي غير أن هناك من النقاد من اختلفوا في العلاقة بين الكاتب الواقعي والراوي وذهبوا في علاجها عدة مذاهب، فمنهم من يميز أن النص المتخيل من الكاتب يرجع إلى ما حققته البنيوية في دراستها للقص باعتبار أن النص كائن منغلق على نفسه والكاتب هو الذي يضطلع بدور الكتابة، بينما الراوي يعتبر مخلوقه الخيالي، وممن ذهب إلى هذا الرأي رولان بارت الذي نعي الكاتب في النص واستعاض عنه بصوت غير شخصي بل رأى أن الراوي والشخوص عبارة عن كائنات من ورق يقول في ذلك: (النص يتألف من كتابات متعددة، تنحدر من ثقافات عديدة تدخل في حوارات مع بعضها البعض وتتحاكى وتتعارض بيد أن هناك نقطة يجتمع عندها هذا التعدد وليست هذه النقطة هي المؤلف كماد أبنا القول، وإنما هي القارئ رهين بموت المؤلف. وإلى هذا الرأي ذهبت جوليا كريستيفا، فهي ترى أن المؤلف يصبح ذات سردية بمجرد دخوله العالم الروائي ويتخلى عن صفته الشخصية). [2]

ويرى كل من محمد الخبر ونجيب العمامي صعوبة الوصول إلى نتيجة ثابتة تتيح الجزم بالفرق بين الكاتب الواقعي والرواي باعتبار أن (الرواي، حسب العمامي غير المؤلف وأن العلاقة بينهما وطيدة وهي علاقة المصنوع بصانعه، على ذلك فإننا نرى للخروج م هذا المأزق ألا نفصل بينهما فصلا حادا، وألا نطابق بينهما مطابقة تامة وأن تعتبر الراوي هو الخالق الوهمي للعالم الروائي، فالراوي دور تقمصه الكاتب، فأصبح أشبه ما يكون بالممثل المطالب بتأدية دور كتبه بنفسه ولم يعده له غيره).[3]

---

[1] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص72و73.

[2] المرجع نفسه ، ص74.

[3] المرجع نفسه، ص74-75.

خلاصة :

لقد اكتسحت الذات نصوص التخييل السردي الروائي لتعلن حضورها و تكسب الكتابات السردية المعاصرة رؤيا و أفقا جديدة لتغدو فيها انعكاسات للفرد و لكنها لا تخل من كونها ذاتا خيالية على الرغم من التماثلات القائمة بينها و بين المؤلف الذي يسعى الى اعادة انتاج ذاته و أفكاره الداخلية في حبكة تخييلية فريدة .

الفصل الأول:

الكتابة الذاتية بين السيرة والتخييل

1-ماهية السيرة:

السيرة بوجه عام جنس أدبي ممتد الجذور في عالم الكتابة والتأليف، وقد تهيأ له أن يشق طريقه ضمن أجناس أدبية نثرية متعددة بفضل خصائصه التي ميزته عن باقي الأنواع الأدبية، وإن نظرنا في الاستعمالات اللغوية المفردة نجد أن هذه الكلمة وردت في لسان العرب لابن منظور بمعنى الذهاب، وسار يسير سيرا ومسيرة وسيرورة وسيره من بلده. أي أخرجه وأجلاه يقال: سار بهم سيرة حسنة والسيرة: الهيئة، وجاء في القرآن الكريم: سير سيرة: حدث أحاديث الأوائل[1]، وجاءت كلمة السيرة في قاموس المحيط لفيروز آبادي: من (سار) أو من (السير) بمعنى مشى وذهب في الأرض، والسيرة بكسر السين: السنة والطريقة والهيئة، يقال هذه سيرة فلان، أي طريقته سنته، وسار الأمير في الرعية سيرة حسنة، أي طريقة حسنة وأحسن فلان السير أي هيئه المسير[2].

ويرى محمد عبد الغني حسن أن السيرة هي (ذلك النوع الأدبي الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا حالة العصر الذي كتبت فيه)[3] ، ففن السيرة في التعريف الأدبي هو: (نوع من الأدب يجمع بين التحرى التاريخي، ويراد به مسيرة حياة انسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته)[4] .

وفي تعريف آخر تعتبر السيرة قصة إنسانية، وهي تاريخ حق يمثل أبرع فنون الكتابة التاريخية وهي امتداد لحياة عظيم في زمان ومكان معينين، ويمتد الزمن إلى ما وراء جيلها ثم أنها تمثل مواقف تاريخية لها حوافزها ومراميها[5]، وفي الأخير نخلص بأن السيرة هي بحث يقدم فيه كاتبها حياته أو حياة الشخصية التي هو بصدد الحديث عنها.

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج4، ط3، 1994، ص389-390.

[2] ينظر: الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، ص657-656.

[3] محمد عبد الغني حسن-التراجم والسير، دار المعارف، ط3، دت، ص9.

[4] عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1984، ص143.

[5] محمد حامد شريف، نظريات أدبية في تاريخ الدولة العباسية، دار خليفة للطباعة، دط، دت، ص157.

2-أنواع السيرة:

أ-السيرة الغيرية:

ويراد بها الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أم في الزمن الحاضر، وقد تناول عبد اللطيف الجديدي في كتابه فن السيرة، بحثا يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة ويفصل المنجزات التي حققها وأدت إلى ذيوع شهرته وأهلته لأن يكون موضوع دراسة[1] .

والسيرة الغيرية أقدم زمنا من السيرة الذاتية، لأنها برزت مع التأريخ والأدب، فمنذ وجود الحضارات كان الرجال يؤلفون فيها ليتكسبوا في بلاط الحكام والسلاطين فكانوا يكتبون ما يجرى في زمنهم من تطور، فكتبوا للملوك والسلاطين وللحروب والمحاربين وأن معظم هذه الأعمال تشتمل بحث مفهوم السيرة الغيرية[2]، ويمكن القول بأنها (بحث عن الحقيقة في حياة إنسان قد وكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في حياته)[3]، وتأسيسا على هذا التعريف فالسيرة الغيرية هي ترجمة حياة الآخرين مع الالتزام بخاصيات مميزة كالموضوعية، وأحكام الفهم، والإلمام بالحقائق، والحكم عليها ومزجها مزجا متعادلا ومنسجما وتصبغ بأسلوب خاص، وتقاس بمقدار الموضوعية والتجرد من الذاتية لنقل صورة العلم كما كانت معروفة بين معاصريه[4]، ورغم التمييز الواضح بين نمطي السيرة استنادا إلى طابعها العام: الطابع الغيري والطابع الذاتي، فإنه يتحتم على كاتب السيرة الذاتية أيضا أن يكون (موضوعيا في نظرته لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث ولا يساق مع غرور النفس وتعلقها بذاتها وحبها لاعلاء شأنها وتنقصها من أقدار الآخرين)[5].

---

[1] عبد اللطيف الحديدي، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996، ص67.

[2] عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان، مجلة القسم العربي، العدد 23، 2016، ص3-4.

[3] حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، دار القلم ، القاهرة، مصر، 1964، ص14.

[4] ينظر: عبد القوى أحمد، السيرة والتخييل في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، مشروع المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، ، جامعة السانية، وهران، 2011-2012، ص19.

[5] حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، ص62.

ب-السيرة الذاتية:

تتضمن السيرة الذاتية لفظتي (السيرة) و(الذات)، حيث تحيل الأولى على الطريقة والسار والهيئة، في حين أن الأخرى هوية الحاكي أو الكاتب بوصفها (أنا) واعية بذاتها تشير الأولى إلى المسار الحيوي الذي عاشه الفرد الحاكي أو الكاتب، في سياق من التسلسل المختزن للتنوع الوجودي والحياتي، وهكذا تتجدد بين الأنا ونمط حضورها في الواقع[1]، والسيرة الذاتية تتعلق بالواقع ويقول في هذا الصدد عبد العزيز شرف: (السيرة الذاتية تعنى حرفيا ترجمة حياة انسان كما يراها)[2]، وبحسب فيليب ليجون فإن مقومات السيرة الذاتية من حيث شكل اللغة هي حكي سردي، ومن حيث الموضوع هي حياة فردية وتاريخ شخصية معينة، ومن حيث المؤلف تطابق المؤلف (الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد، ومن حيث السارد تطابق السارد والشخصية الرئيسية ، وهو يستعيد الحكي.[3]

والملاحظ بشأن أدب السيرة الذاتية النثرية أنها تعرف بكثرة الإنتاج بخلاف أدب السيرة الذاتية الشعرية في الأدب العالمي فهو محدود جدا، حتى الشعراء أنفسهم يكتبون سيرهم الذاتية نثرا، ثم أن الشعر بحكم طبيعته -خاصة في العصر الحديث- قد لا يحبذ سرد تفاصيل الحياة الخاصة باعتباره جنسا أدبيا استقطابيا يقوم على التصور والتخيل والمبالغة وعلى الصدق الفني بخلاف ما تقتضيه أدب السيرة الذاتية (النثري) من صدق وحقيقة في نقل تجارب الحياة الفردية.[4]

فالسيرة الذاتية لا تكتب بأسلوب واحد وإنما بأساليب مختلفة وبأشكال سردية متنوعة، فالسرد يختلف عن عنصر الوصف فهو خطاب يعتمد الحكى والقص الأدبي، لكن حدوده مفتوحة على الشعر بقدر ماهي مفتوحة على النثر، ويثبت أن العملية السردية هي قاسم مشترك بين جميع الفنون الأدبية، كما أن الشعر ليس وصفا خالصا حتى يتعارض مع السرد وفيه من الأنماط الحكائية والقصصية مالا يمكن

---

[1] ينظر: علوش سعيد، مكونات الأدب المقارن، الكتاب اللبناني، ط1، 1987، ص467.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط، الجزائر، ط1، 1421هـ، ص32.

[3] نقلا عن: جليلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي مؤسسة سعيدان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2004، ص13.

[4] ينظر: عبد القوى أحمد، السيرة والتخيل في رواية أنثى السراب ل واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، مشروع المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، جامعة السانية، وهران، 2011-2012، ص21.

تجاوزه أو انكاره، كما أن النثر ليس سردا خالصا حتى يتعارض مع الوصف، وبالتالي فلا الشعر ولا النثر بامكانهما الاستغناء عن أداتي: السرد والوصف.[1]

وقد ذهب محمد صابر في تعريفه للسيرة، بما أنها نمط سردي حكائي ينتظم في فضاء زماكاني محدد، يتولى فيه الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي، ففيها من العمق والغنى ما يستحق أن يروى ليقدم تجربة يمكن أن تثري تجارب القارئ وتخصب معرفته بالحياة من خلال الاطلاع عليها والإفادة منها [2]، و بتوافر شروط في الشخص المترجم لنفسه أن يتمتع بمعرفة كافية بأصول هذا النوع من الكتابة، فضلا عن امتلاك قابلية سرد الأحداث ضمن أسس تعبيرية وأسلوبية خاصة، وأما السيرة الذاتية تحديدا كما يرى محمد صابر عبيد فيتكفل صاحبها برواية أحداث حياته الأكثر حضورا في ذاكرته وتتركز على مجال فني أو أدبي أو اجتماعي أو سياسي أو عسكري، تميزت فيه شخصيته (ويسعى في ذلك إلى انتخاب حلقات معينة مركزة من سيرة هذه الحياة، وحشدها بأسلوبية خاصة تضمن له صناعة نص سردي متكامل ذا مضمون مقنع ومثير ومسل...ولا يشترط في الراوي الاعتماد على الضمير الأول(المتكلم) بل قد يتقنع بضمائر أخرى تخفف من حدة الضمير المتكلم وانحيازه، يشترط أن يعرف المتلقى ذلك لكي لا تتحول إلى سيرة غيرية بحيث يظل الميثاق السير الذاتي بين الكاتب والمتلقي قائما وواضحا)[3] بما يكفي لإضاءة سبل التعرف على هذا الراوي والشخصية.[4]

3-مفهوم رواية السيرة الذاتية:

يعد الفن الروائي مكانا خصبا لتلاقي الأجناس الأدبية الأخرى، حيث ترتبط الرواية وهي الفن التخييلي عموما بأشكال الكتابة الذاتية الواقعية في علاقة تبادل قائمة على التأثير والتأثر، وهكذا اعتمدت الكثير من النصوص الروائية على الجانب السيري، وانفتحت على الذات المبدعة (وباتت العلب السوداء للكتاب معروضة ومفتوحة أمام القراء عبر ما يحكون، صحيح أنه ليس كل محكى بالضرورة يتوفر على السير ذاتي للكاتب، أو أنه ليس كله محكيا ذاتيا، لكنه يتوفر على جزء مهم منه)[5] فالكتابة الروائية تتراوح

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص22.

[2] ينظر: محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص110.

[4] ينظر: عبد القوى أحمد، السيرة والتخييل في رواية أنثى السراب ل واسيني الأعرج، ص25.

[5] إبراهيم الحجري، المتخيل الروائي العربي، (الجسد، الهوية، الآخر)، مقاربة سردية انتربولوجية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2013، ص16.

بين دقتي الخيال والحقيقة، فالتجارب الذاتية مصدر ومرجع هام لأغلب الكتاب الذين يستقون منه البذرة الأولى لأعمالهم.

لقد أخذ مصطلح رواية السيرة الذاتية مساحة كبيرة لدى النقاد والباحثين فجعلوا منها ميدانا لبحوثهم فأخذوا يحللونها ويبرزون أهم تصوراتها والعناصر البنيوية الفنية القائمة عليها، لاسيما وأن بنية الخطاب السير ذاتي يحمل في ثناياه مقومات تجعل منه خطابا منفردا أو استثنائيا مقارنة بالنصوص السردية الأخرى، كون المحور العام الذي يدور عليه الخطاب هو الكاتب نفسه وله علاقة جد وطيدة بهذه الأخيرة وفي تجاربه وفي حياته[1]، وتعرف رواية السيرة الذاتية بأنها (هي التي تتخذ من شخص حقيقي، ومن تاريخه موضوعا للاستكشاف التخيلي الوهمي، وذلك باستخدام تقنيات الرواية لتمثيل الذاتية بدلا من الموضوعية كدليل قائم على خطاب السيرة الذي أصبح شكلا بارزا مألوفا جدا في الخيال الأدبي)[2] .

ويعرفها محمد صابر عبيد على أنها (عمل سردي روائي يستند في مدونته الروائية على السيرة الذاتية للروائي، حيث تعتمد الحادثة الروائية في سياقها الحكائي اعتمادا شبه كلي على واقعة سير ذاتية واقعية، تكتسب صفتها الروائية أجناسا بدخولها في فضاء المتخيل السردي، على النحو الذي يدفع كاتبها إلى وضع كلمة "رواية" على غلاف الكتاب في إشارة أجناسية ملزمة للقارئ وموجهة لسياسته القرائية النوعية، ويقتضى توكيد سير ذاتية الرواية الحصول على إشارات، أو اللمحات، أو اعترافات يدلى بها الكاتب في أية مناسبة كانت، تشير أو تلمح أو تعترف بالمرجعية السير ذاتية لعمله الروائي.)[3] .

وفي معجم السرديات عرفت ب (الرواية السير ذاتية، مثلها مثل سائر ضروب الكتابة الروائية منغرسة في التخييل يستثمر مؤلفها المسافة السردية الفاصلة بين الراوي والشخصية والمؤلف لخلق عالم روائي واسع الأفق متشابك الأبعاد ينحو إلى الاستقلال عن الواقع التاريخي المرجعي)[4]، وتقوم رواية السيرة الذاتية على أحداث الحياة الواقعية للمؤلف، لكنها تشكلها بواسطة المتخيل السردي وهذا ما يكسبها

---

[1] ينظر: كريمة بن عمروش وكريمة العربي، سردية الرواية السير ذاتية النسوية رواية فرج لرضوى عاشور، ص19.

[2] سمية عطوي، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، روايات فضيلة الفاروق أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا، جامعة محمد بوضياف مسيلة، 2017-2018، ص80-81 نقلا عن:

Charline pluvinet: l'auteur déplacé dans la fiction configuration la littérature cantemparaine. P75

[3] محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008، ص115-116.

[4] محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات: دارتالة، الجزائر، ط1، 2010، ص219.

صفة الروائية، والتخيل عنصر أساسي فيها لأنه يجعلها تتراوح بين الحقيقة والخيال الأمر الذي يصعب التصنيف الأجناسي[1] ، وهذا ما عبر عنه فيليب لوجون بقوله: (كيف نميز السيرة الذاتية عن رواية السيرة الذاتية؟ يجب أن نعترف بأنه لا وجود لأي فرق إذا بقينا عند مستوى التحليل الداخلي للنص، فكل الأساليب التي تستعملها السيرة الذاتية من أجل اقناعنا بواقعية محكيها، يمكن أن تقلدها الرواية بل وقد قلدتها في كثير من الأحيان... يمكن لتخيل سيرة ذاتية أن يكون صحيحا وأن تشبه الشخصية المؤلف، كما يمكن للسيرة الذاتية أن تكون غير صحيحة وتكون الشخصية المقدمة مختلفة عن المؤلف)[2] ، وربما يبقى الحل هو أن يذكر المؤلف التصنيف صريحا مع العنوان على الغلاف، فمن دون ذلك يقع المتلقى لا محالة في دوامة الاختلاف الأجناسي بين التسليم بمرجعية النص وتخيله ويصطلح على رواية السيرة الذاتية مصطلح الرواية السيرية وقد عرفها حسين المناصرة على أنها هي تلك الروايات السيرية التي تشعرك كمتلق بأنها تأريخ حياة أو ثقافة أو فكر لحياة كاتبها، ولكن ليس بشروط السيرة الذاتية المعروفة، وإنما بشرط الكتابة التشكيلية الروائية، بمعنى أن يكون شكل الرواية جسر للتمويه أثناء الكشف عن الذات دون يكون هذا الكشف مباشرا على الطريقة التي استثناها طه حسين في كتابة الأيام مثلا[3].

فالرواية السيرية اذن تتحقق بتشابك فضاء الرواية بما يحويه من تخيل جمالي فني، وفضاء السيرة الذاتية بما يحويه من تصوير وكشف للواقع وقد جاءت لتمثل ذات المثقف العصري، الخارج من فضاء سوسيو ثقافي مغاير عنوانه الحرية، فالرواية السيرية بهذا المعنى هي(صيغة لمؤسسه الذات عبر تحرير طاقاتها وإعادة كتابة تاريخها الشخصي)[4] .

ويعد فيليب لوجون أبرز من تناول مفهوم الخطاب السير الذاتي وقد عرفه بأنه (حكى استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة)[5]، وعليه يمكن القول بشيء من التعميم بأن السيرة الذاتية ترتبط بحياة إنسانية

---

[1] سمية عطوي، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، ص80.

[2] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1994 ص38.

[3] ينظر: حسين المناصرة، مقاربة الرواية، قراءات في نقد النقد، دط، 2008، ص16.

[4] محمد منصور: استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع (المدارس)، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص25. (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994).

[5] محمد أولحاج، بيداغوجيا تحليل الخطاب، السيرة الذاتية، المكونات والروافد، منشورات top edition ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص16-17.

واقعية تخص فردا ما بعد أن يكتبها هو بنفسه، فيكون النص المنتج بمثابة مرآة له، ويعتبر فن السيرة الذاتية من أرقى الكتابات الذاتية وأوضحها وأقربها للصراحة، وهو يقوم على التطابق التام الذي لا يحتمل أي التباس بين الذات الكاتبة والذات موضوع التلفظ وكاتبها (يتحمل دورا مزدوجا فهو مصدر وموضوع وبنية النص الذي يقدمه)[1]، ويمكن للمتلقي اكتشاف هذا الأمر عن طريق الميثاق السير ذاتي الذي يعقده معه المؤلف منذ البداية إلا أنه في بعض الأحيان لا يذكر الميثاق واضحا أو صريحا، مما يؤدي إلى تداخل السيرة الذاتية والأجناس الأدبية الأخرى، فمثلا هناك تقاطعات كثيرة تجمع بين الخطاب السير ذاتي أو الروائي غير مصرح به، فكم من سيرة ذاتية صيغت في قالب روائي، وكم من رواية صيغت في قالب سير ذاتي[2]. هذا الأمر في النهاية بحتمية التداخل بينهما وبين الأشكال السردية القريبة منها خاصة الفن الروائي.

فالإبداع اللغوي مادته اللغة ومجاله الخطاب أما جماليته فالمؤكد أنها تتحدد وتتجدد بفضل قدرة الكاتب المبدع على انجاز نص لا ينضاف إلى الموجود السابق بقدر ما يضيف اليه مالم يكن موجودا من قبل: مثله مثل المبدع في مجالات الفكر والعلم وحينما نقرأ النماذج النصوصية في ضوء الملاحظات النظرية والمنهجية لا يعود من الخوض قليلا أو كثيرا في قضايا الجنس الأدبي الذي ينتمي اليه النص ويمثله اذ يكفى أن نسميه رواية سيرية اختصار للتسمية الشائعة رواية السيرة الذاتية الذي اكتسبت مشروعيتها من شيوعها بين الباحثين في هذا المجال، الأمر المهم حقا بالنسبة لنا قد يتعلق بالتوجهات والأنماط الفرعية التي ينبئ بها النص ويبرزها في مستوى الخطاب السردي الذي ما أن نعانيه من هذا المنظور حتى يكتشف مدى غنى وتنوع المنجزات الإبداعية وان اندرجت ضمن تسمية نظرية واحدة فما يعرف بالأمس واليوم بالرواية الواقعية أو رواية الأطروحة أو الرواية التعلم أو رواية المغامرات، وهي أيضا أشكال فرعية تنمي سيرورة الجنس الروائي المنتمي بدوره إلى نوع الخطاب الأدبي، لأن كل منجز فردي خلاق يفترض أن يعنى المنجزات السابقة ويدخل المزيد من المرونة والثراء إلى المقولات النظرية السائدة.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 21.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص52.

[3] ينظر معجب الزهراني، السيرة الذاتية رواية، الثقافة والأدب، مجلة القافلة منتدى أرامكو السعودية، بتاريخ 29.04.2020، 22:30.

4-أنواع السيرة الذاتية:

1-المذكرات:

تعني ما يكتبه شخص قام بدور بارز، بحيث يكون شاهدا على أحداث ما ويعيد بنائها على أساس حريته الشخصية ، ويعتمد فيها على استرجاع ما سبق من ذكريات وكثيرا ما اصطلح على هذا المصطلح بمعنى السيرة الذاتية.[1]

وبصيغة أخرى هي التى تولي اهتماما للأحداث حول الكتاب وخارجه أكثرها تولى الكاتب نفسه كما في مذكرات الرئيس الأمريكي هاري ترومان (1955-1956) ومن المذكرات تستطيع التعرف بقدر كبير عن المجتمع الذي يدور حوله موضوع المذكرات وقليلا من الكاتب نفسه.[2]

2-الاعترافات:

هي فن من الفنون الأدبية النثرية، تدرج ضمن جنس السيرة الذاتية، إذ يلجأ فيها الراوي الذاتي إلى منطقة مثيرة وحساسة وخطيرة في سيرته الذاتية، ويروي فيها خطايا وسلبيات شخصيته بأسلوب اعترافي صريح، من دون مبادلات للمواصفات الاجتماعية، والقيم الأخلاقية التي يمكن أن تحل بها أو تجرحها.[3] أي أن الراوي في هذا الفن يكشف ويفصح عن مساوئه وعيوبه بأسلوب صريح دون أي خجل، دون وضع أي اعتبارات للقيم والمبادئ الاجتماعية حيث يقوم " المؤلف برواية مواقفه الخاصة من تجارب نفسية وعاطفية، لا يتطلع عليها أحد حتى أصدقائه المقربين" [4].

3-اليوميات:

تندرج اليوميات ضمن فن السيرة الذاتية إذ تمثل سردا سيريا يخضع خضوعا كاملا لسلطة الزمن اليومي، وتتقيد كتابيا بظروف الزمانية والنفسية والاجتماعية، لكيفية اليوم الذاتي تسجل فيه كل يومية، كما يستند شكل اليومية لغة وتشكيلا إلى طبيعة الأحداث الشخصية، فتكون قصيرة الطول أو طويلة، وتكون قائمة على حدث واحد أو مجموعة أحداث، وتكون ذات حيوية، وحرارة، وإثارة وتنوع، وأقل حيوية وإثارة

---

[1] ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص11.

[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص44.

[3] ينظر: محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، ص130.

[4] ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية، ص30.

وتنوع، وتظهر حماس الراوي أو قلة حماسه، وتكون ذات طابع حكائي، أو وضعي وهذا يعني أن اليوميات متحررة من كل القيود والارتباطات، إذ يظهر ذلك في تسجيل تفاصيل ودقائق الأحداث، وهي تخضع لسلطة الزمان والمكان بالدرجة الأولى، إلى جانب التطرق إلى الظروف النفسية، والاجتماعية المؤثرة على الحالة الشخصية، ومنه فاليوميات سجل للتجارب والخبرات اليومية، وحفظ الأخبار والأحداث الحياتية للشخص[1] . ومن بين اليوميات نجد يوميات "نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم، فهي تسجيل لكل حدث كبير كان أم بسيط في اليوم ويبقى نفس الحال لباقي الأيام.

5-المكونات الفنية لرواية السيرة الذاتية:

1-الميثاق الروائي:

يلجأ الكاتب في تدوين مسيرته الذاتية إلى الميثاق الروائي لما له من تبعات اجتماعية ومواقف متعلقة بالشخوص المذكورة في النص، وكشف الأسرار التي لم تظهر للقارئ أو السامع، وكلها أمور لا تتعلق بالمؤلف فحسب بل بأناس تربطهم علاقات به، وهذا ما جعل الكثير من المؤلفين ينفرون من كتابة سيرهم الذاتية، فنجدهم يختبؤون وراء التقنية الروائية التي تساعدهم في إخفاء شخصيتهم الخاصة، وهذا ما يجعلنا نطلق على هذا العمل تسميته الرواية ولا يمكننا اعتبارها سيرة ذاتية.

فقد ينبني الميثاق الروائي على مظهرين وهذا ما أكده "فيليب لوجون" في قوله: "أولهما تطبيق جلي لعدم التطابق (لا يحمل المؤلف والشخصية نفس الاسم) والثاني تصريح بالتخيل العنوان الفرعي رواية على العموم هو الذي يؤدي اليوم هذه الوظيفة على الغلاف، مع الملاحظة أن الرواية تعني في المصطلحات المعاصرة ميثاق روائيا في حين أن المصطلح محكي غير محدد ومنسجم مع الميثاق السيرة الذاتية".[2]

2-الزمان والمكان:

[1] المرجع السابق، ص123.

[2] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، (الميثاق والتاريخ الأدبي) ، تر:عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1994

الزمان والمكان عند الروائيين من المكونات الأساسية في بناء الرواية، فهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات السردية كالشخوص والأحداث والرؤى مما يجعلهما يتداخلان فيما بينهما ويصعب فصلهما، مما يدفعنا لدراسة كل منها على حدى.

أ-الزمان: هو من أهم العناصر في تشكيل النص الروائي، فالزمن بالنسبة لعبد الحميد حجفة مقولة لغوية تسهم في بناء البنيات اللغوية، وهذه المقولة مقولة فعلية بامتياز رغم أنها ترتبط بمقولات أخرى مثل الظروف على اختلاف أنواعها، إلا أن الزمن المرتبط بالأفعال ليس من طبيعة الزمن المرتبط بالظروف، فهو في الأولى مقولة لبناء الجملة أي مقولة تركيبية، وفي الثانية مقولة معجمية، إذ يكون الزمن جزءا من دلالة الظروف المعجمية[1]، من هنا نستنتج أن الزمن نوعان زمن الأفعال وزمن الظروف.

ب-المكان: يمكن النظر إلى المكان على أنه نظام له امتداداته الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية، تنتظم فيه العلاقات الإنسانية وهذا ما يؤكده: "موسى ربايعة" في قوله: " فهو المأوى، والانتماء ومسرح الأحداث، حتى إذا كان المكان الذي ينتمي اليه الانسان يتخذ في بعض الأحيان طابعا مقدسا لأن العلاقة بين الانسان والمكان علاقة متجدرة"[2]. فالمكان يمثل مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارجه، ذلك أن كل حدث يأخذ وجودة في مكان محدد، وزمان معين"[3].

ج-المؤلف: يؤدي المؤلف دورا مهما في الأعمال الروائية فوعي المؤلف بقيمة شخصيته الروائية يعتمد على مدى ارتباطه بها وقدرته على مسرحتها وعرضها من خلال صورته أو صوت السارد.[4]

د-السارد: ينطلق مفهوم السارد من كونه شخصيه تخيلية أو كائنا ورقيا حسب بارت، ولهذا فهو يختلف عن المؤلف الحقيقي للعمل الأدبي، فهو شخصيته واقعية، والسارد تقنية يستخدمها، هذا المؤلف ليقدم بها عالما تخيليا، فهو حسب البعض قناع تبناه ليعبر به عن رؤيا الخاصة.[5]

---

[1] ينظر: عبد المجيد حجفة، دلالة الزمن في العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص26.

[2] موسى ربابعة، جمالية الأسلوب والتلقي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص74.

[3] ينظر: محمد بوغرة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص99.

[4] ينظر: عبد الرحمان بغدادي، تعالق المؤلف بالسارد والشخصية، مجلة الثقافية الشهرية، الناشر علي الهواري، العدد 97، الجزائر، دت.

[5] ينظر: نجاة وسواس، السارد في فن السرديات الحديثة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 2012، ص98.

هـ-الشخصية: تؤدي الشخصية دورا فعالا في كل أنواع الأعمال الأدبية باعتبارها عنصرا رئيسا في العمل الروائي، وذلك يعود إلى مدى ارتباطها بالأحداث التي تدور حولها مما يجعلنا نفهم الشخصية من خلال أفكارها المعبرة عنها بالألفاظ والأفعال، وإلى مدى تأثيرها في المتلقي، من حيث تفاعلها معها أو تعاطفه وتقييمه لها.[1] فالشخصية تمثل أداة هامة يستعين بها المؤلف في تجسيد المكان والبيئة والقيم الاجتماعية وغيرها.

و-الحقيقة والخيال: رواية السيرة الذاتية ليست وثيقة تاريخية، فكل ترجمة ذاتية مهما كانت تقدمها فلا بد لصاحبها من أن يمزج بين عالمية متعارضين هما الحقيقة والخيال، فهو حر في أن يطلق العنان لخياله كما يشاء له، وكلما أمعن في خياله كان أفضل، فالخيال له دور فعال في الفصل بين الأجناس الأدبية والتمييز بين حدودها والحرية فيه هي التي تصنع الحد الفاصل بين القصة والسيرة، فالقصصي حر في الخلق والبناء، يمكن أن يتخيل مواقف ومحاورات، وله الحق أن يصف التيار الداخلي في أنفس الشخصيات التي يرسمها[2] ، أما كاتب السيرة فيستلهم الأحداث من واقع عاشه، معتمدا على مصادر متنوعة كالرسائل، المذكرات، الذكريات.

ز-الصراع: هو تصادم بين قوتين، وهو حدث مؤثر في غيره، ويعرفه التونجي "بأنه هو النزاع الذي يجري بين شخص أو آخر، أو شخص وقوى أخرى، مما يدفع بالدراما إلى التفاعل الحاد، فالصراع هو المادة التي تبنى منها الحبكة"[3] ، ويزدوج الصراع فيكون داخليا ويكون خارجيا، فيكون الصراع الداخلي في نفس الممثل" كالشخص مع نفسه تتجاذبه قوتان قوة الحق والباطل، قوة الإدارة والأعراض، صراع يجري بين الشخص ونفسه، أما الخارجي يقع بين الشخوص الروائية ويكون طويل المدى[4] .

6-تعالق السيرة الذاتية والرواية :

إن الرواية كما وصفها عدد من الروائيين هي الفن الذي يوفق ما بين شغف الانسان بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال، ولعل هذا الوصف ينطبق على الفن بصفة عامة وعلى الرواية ورواية السيرة الذاتية بصفة خاصة، حتى لو ادعى الكتاب أنفسهم غير ذلك إلا ان رواية السيرة الذاتية تبقى إلى جانب

---

[1] ينظر: عبد الرحمان بغدادي، تمالق المؤلف بالسارد والشخصية، العدد 97، الجزائر.

[2] ينظر: احسان عباس، فن السيرة الذاتية، الأردن، عمان، ط1، 1999، ص71.

[3] محمد التونجي، المعجم المفضل في الأدب، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص584.

[4] المرجع نفسه، ص584.

ذلك عملا أدبيا أي لا بد للخيال من أن يكون له دور فيه، فالنص الأدبي لا يكتسب صفته الأدبية إلا بالانتقال من الواقع إلى الخيال.[1]

يجمع الخطاب السير ذاتي بين الشكل الروائي والواقع ويعتمد على ذلك لسرد وبناء ما يقع للكاتب من أحداث في حياته، وبين التخيل الذي يعد من ركائز الرواية هو ما يساعد الكاتب على انتاج نصه وهذا ما جعل من رواية السيرة الذاتية تحظى بإقبال واهتمام واسعين من طرف المتلقين والكتاب، ويتضح بأن (الرواية كانت بدايتها سيرة ذاتية والروايات العظيمة هي تلك التي تغدت بصورة جيدة من السيرة الذاتية لأصحابها)[2] .

وتختلف السيرة الذاتية عن الرواية بخيالها المقيد (فالراوي يستطيع أن يستخدم الخيال كما يشاء ولكن خيال كاتب السيرة ممسوك الزمام لأن السيرة الذاتية إعادة صورة لحياة إنسانية)[3]

إن العلاقة بين السيرة الذاتية والرواية هي علاقة ملتبسة وخلاقة بين جنسين سرديين كثيرا ما تقضي التفاعلات بينهما إلى نصوص إبداعية متميزة، يشير جورج ماي في قوله: (أن الرواية والسيرة الذاتية هما شكلان يمثلان قطبين لجنس أدبي مترامي الأطراف، يجمع بين الأثار المنصوبة فيه، انها تتخذ من حياة انسان موضوعا لها فتحسنه)[4] ، إن السيرة الذاتية تقدم للقارئ أحداثا ووقائع حقيقية بصدق ألزمها به وهذا ما أطلق عليه فيليب لوجون ميثاق السيرة الذاتية كأنما هو ميثاق شرف أبرمته (أنا) الكاتب المعلن مع قارئ مجهول، لكنه مفترض بينما تذهب الرواية لتشير صراحة بأنها كتابة تخلقت من خيال أعاد صياغة بعض الأحداث وقصص الواقع ليقدمها للقارئ على سبيل التقابل والتوازي وربما المفارقة، لا التطابق ولا الانعكاس بل أن كثيرا من نماذجها يعلن كتابها أن لا شيء فيها من الواقع، ولهذا يقتضي القول أن ما يجمع بين الرواية والسيرة الذاتية أن كلاهما كتابتان تعلن كل واحدة منهما انتماءها لجنس كتابي مختلف عن انتماء الأخرى، فهما تنطلقان من السرد القصصي ليبنيا به نصوصهما، كما يلجأ كلاهما للواقع الراهن، أو المستعاد، في خلاصة تتماهى مع عرض لموقف ما مما يجري وجرى ويشتبك

---

[1] نقلا عن شبكة الألوكة، رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل، قطحان بيرقدار، تاريخ الإضافة 2009-01-29 . 22:45

www.alukah.net ileture languge-0-4795

[2] حسين حمري، فضاء المتخيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001، ص217.

[3] تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، 2002، ص22.

[4] جورج ماي، السيرة الذاتية، تر محمد القاضي وعبد الله صولة، بيت الحكمة، تونس، 1992، ص206.

الشخصية الكاتبة أو المكتوبة (ان كانت سيرة المؤلف بقلمه أو على الذات، والشهادة على الواقع) بالضرورة في تدوين خطاطة تقترب من الشهادة (الشهادة على الذات، والشهادة على الواقع) أو على الشهادة على الذات في نقاطها مع الواقع وافتراقها عنه في الآن نفسه.[1] يقول فيليب لوجون إن مصطلح رواية السيرة الذاتية قريب جدا من مصطلح السيرة الذاتية، وهذا الأخير قريب جدا من كلمة السيرة، مما يسمح بالخلط، أليست السيرة الذاتية كما يشير إلى ذلك اسمها سيرة شخص مكتوبة من طرفه هو نفسه؟ والرواية تعد من أكثر الأجناس الأدبية التصاقا بفن السيرة الذاتية، فمن الأمور الواضحة والمعروفة في الرواية، إمكانية التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، ما يعزز كون هذه الرواية سيرة ذاتية.[2]

تشبه الرواية السيرة الذاتية في ضرورة التزامها بنمط فني وأسلوب سردي يغري القارئ بالاستمرار في قراءتها، أما الفواصل بينهما فتمثل في الخيال، إذ أنه في الرواية مطلق ويستطيع المؤلف أن يصفه كما يشاء، أما في السيرة فهو مقيد، ويستطيع المؤلف أن يسترسل في توظيفه للخيال فإنه يصطدم بواقعه الذي يرغب في تقديمه للأخرين لأسباب عدة منها رغبته في نقل تجربته لهم حتى تتم الاستفادة منها، أو من أجل تخفيف العبء عن كاهله أو من أجل تبرير بعض المواقف[3] .

فبغض النظر عن كون السيرة الذاتية هي حكي يعاد فيه الواقع إلى المتخيل، إذ يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، أي أن شكل اللغة في السيرة الذاتية هو سرد تتابعي وصفي من أكثر الأعمال الأدبية التي تدل على ذاتية كاتبها وتختفي هذه الذاتية وراء الشخصية الروائية، من ثم فإن الرواية نص يحاكي كل النصوص وبنية تدمج فيها كل الأنواع والأجناس الأدبية ذلك ما يؤكد عليه باحثين بقوله (ان الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية (قصص، أشعار...) أو خارج أدبية (دراسات من السلوكات، نصوص بلاغية وعلمية....)[4] .

يهدف التداخل بين الرواية والسيرة الذاتية إلى تقديم رؤية خاصة إزاء الشخصية التي يكتب عنها سواء بالدفاع وتجميل الصورة أو بالنقد وتشويه الشخصية، و(هنا تلتقي السيرة مع الرواية التاريخية، فالسيرة نوع أدبي يقوم على مضمون تاريخي أو حدث ما يتشكل في إطار بناء روائي قريب من الرواية

---

[1] ينظر :الياس فركوح، السيرة الذاتية والرواية، منتدى الجديد، 1.7.2016 (بتصرف) بتاريخ 29-04-2020، 22:45. www.aljadeed magazine.com.

[2] ينظر : نقلا عن محمد شهيري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص58،59.

[3] نفس المرجع، ص51.

[4] نفس المرجع ، ص51.

التاريخية)[1] ، يقوم ميثاق السيرة الذاتية –أساسا– على تجربة قرائية موجهة تستلزم مجموعة من المواضعات بين الكاتب والقارئ وغالبا ما تفرض تلك المواضعات ضرورة إقامة ميثاق قراءة ما بينهما مفاده أن سيرويه الكاتب هو بسيرة ذاتية، غير أن النصوص السردية التي تدور في فلك السيرة يصعب فيها التميز بين ما هو روائي وما هو سير ذاتي، ذلك أن التأرجح بين أكثر من ميثاق قرائي في النص السردي الواحد، يشوش عادة على أفق انتظار المتلقي ويربك ضرورة التلقي في ظل غياب تأكيد أو نفي ميثاق قرائي بعينه، سواء كان تخيليا أم مرجعيا هذا الأمر يشمل (كل النصوص التخيلية التي يمكن أن تكون للقارئ فيها دوافع ليظن انطلاقا من التشابهات التي يعتمد أنه يكتشفها، أن التطابق أو على الأقل ارتأى ألا يؤكده)[2] .

وهنا نجد أنفسنا أمام حقيقة لا يمكن تجاهلها، وهي أنه لا يوجد بالتأكيد نموذج وحيد لسيرة ذاتية ولا صيغة واحدة لإبداع روائي حيث انتشرت في العقدين الأخرين تعيينات جنسية مخاتلة ومراوغة من قبيل "الرواية السير ذاتية" ، السيرة – الرواية، "سيرة ذهنية"، ويبدو أن لجوء الروائي إلى توصيف أعماله بهذه التسميات المركبة، راجع إلى محاولته إيجاد إمكانية كتابة سير ذاتية، تجمع بين التذكر والتخيل، مع الحفاظ على مسافة تتيح للمؤلف أن ينظر إلى الأشياء والأحداث التي عاشها أو تخيلها، نظرة تتيح له ممارسة النقد الذاتي والتشكيك وإعادة النظر.[3]

فهذه التوصيفات التجنيسية تبدو كما لو أن كانت نوعا أدبيا عجينا يمثل ثمرة تزاوج ما بين السيرة الذاتية والرواية بالدرجة الأساس، وبالعودة إلى رواية "الخبر الحافي" لمحمد شكرى على سبيل المثال لا حضر نجده يصنفها على أنها "سيرة ذاتية روائية وحينما سئل عن سبب هذه التسمية، رد قائلا: "أنا لا أقول أنها رواية ولا أقول في نفس الوقت أنها سيرة ذاتية مكتوبة بتاريخ مسلسل، فهي سيرة ذاتية مرواة أو سيرة ذاتية بشكل روائي"[4].

---

[1] طه وادي، هيكل رائد الرواية (السيرة والتراث)، ط2، القاهرة، 1996، ص144، 145

[2] Philippe lejeune : le pacte autobiagraphique , ed ,seuil ,paris,1975,p25

نقلا عن: عبد المالك أشهبون– التخيل السير ذاتي في السرد العربي (التركيب والدلالة) مجلة أبوليوس، فاس، المغرب، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مجلة 06، العدد 02، جوان ، ص25

3 المرجع نفسه ص25

[4] ينظر: محمد شكرى، أسئلة الرواية، حوار أجراه معه جهاد فاضل، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دت، ص205 نقلا عن: عبد المالك أشهبون، التخيل السير ذاتي في السرد العربي، ص25.

ومن هذا المنظور تدعونا الأثار الأدبية إلى توسيع الوضع الاعتباري لكل من الرواية من جهة والسيرة الذاتية من جهة أخرى، فهذا التصور النقدي والابداعي الجديد يدفع في اتجاه تفويض القوانين الصارمة للخطاب السير ذاتي التقليدي ويجعل التلاقح بين الروائي والسير ذاتي وباقي الأنواع الخطابية الأخرى شكلا من أشكال التجريب الخلاق، الساعي إلى تلمس عنصر الابداع الذي يعتبر فضاء للحرية والقلق والسؤال بدون موارية، بحكم أن النص الأدبي يتفاعل مع الصيرورة الزمنية ويسبح مع تيارها، متشوقا إلى التحول والتجديد.[1]

7-انفتاح الخطاب السردي على الأجناس :

إن الخطاب السردي أكثر رحابة لتجميع أصناف السرد من تلك الأجناس الأدبية التي سادت عبر عصور متعاقبة وإن كانت هي الأخرى مرتبطة بالحكاية، حيث أن أسماء تلك الأجناس تستند على سماتها النصية ولم تتعداها، وإذا غاب ذلك التعدي انحصر الجنس دون إطار. حيث لا يمكنه أن يتداخل مع أي جنس آخر، لأن (مفهوم الجمع غامض جوهريا وهذا يفسر عدم الاستقرار الدلالي لأسماء الأجناس المفترضة تجميعا شكليا و موضوعاتيا بسيطا، حكاية، قصة، رواية...الخ)[2] ، وهذا ما أدى إلى توسيع الاسم الجنسي المتمثل في الخطاب السردي عقب تشكيل تاريخي تطوري خضع لإعادة تصنيف تلك النصوص[3].

فمثلا أن أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق أن ألحقه كاتب أو اخر بالرواية والرواية حسب جورج لوكاتش محتوى غير خالص أبدا، ولا يملك شكلا ثابتا أو نهائيا بل إن شكل الرواية عرضة للتفكير المستمر[4]، وقد بلغت الرواية أوج تجربتها كنص مفتوح على كل إمكانيات التجديد في القرن العشرين، وذلك بعد التطورات الجذرية التي عرفتها نظرية الرواية، وقد أصبح هذا الشكل الروائي الجديد يلتهم كل النماذج والأشكال المتوارثة

[1] عبد المالك أشهبون، التخيل السير ذاتي في السرد العربي، ص25،26.

[2] ماري شيفير، ما الجنس الأدبي، ص12 ، نقلا عن محمد شهيري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ، قراءة في تجارب: هوامش الرحلة الأخيرة ل محمد مفلاح، مزاج مراهقة ل فضيلة الفاروق-مقامات الذاكرة المنسية ل حبيب مونسى، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب معاصر، جامعة مستغانم، 2017-2018،

[3] ينظر: محمد شهيري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة في تجارب: هوامش الرحلة الأخيرة ل محمد مفلاح، مزاج مراهقة ل فضيلة الفاروق-مقامات الذاكرة المنسية ل حبيب مونسى، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب معاصر، جامعة مستغانم، 2017-2018، ص56.

[4] نقلا عن ليندة خراب، تناص التراث الشعبي في الرواية، رسالة ماجيستير، جامعة قسنطينة، 1998-1999، ص98.

والحداثية، إلى درجة أن أمحت فيها الحدود والفروق بين الأنواع والأجناس الأدبية، فانكتبت الرواية بكل اللغات: لغة الشعر والموسيقى والحكاية والسيرة والدراما)[1] ، فالمادة الأساسية المحددة لجنسية السرد هي (المادة الحكائية التي تعتبر أساسية وثابتة وعليها مدار السرد وبانتفائها ينتفى السرد)[2] ، وذلك بالرغم من اختلاف طبيعتها باختلاف الأنواع السردية.

كما أنها هي ذاتها ما يجعل الخطاب السردي على درجة كبيرة من التنوع والتركيب والتعقيد، كما تجعله متصلا بالواقع بما يحققه من وصف له وتمثيل، وفي الآن ذاته ينفصل عنه ويتجرد منه بما يضيفه عليه من تخيل قد يصل إلى حدود المستحيل المقنع نظرا للكيفية التي يعرض بها، والتي يفترض فيها ضرورة أن تكون ممتعة ليصير المحكى المخيل أفضل من ذلك الممكن غير المقنع[3]، فمثلا المعاش في السيرة الذاتية لا يروى كما حدث فعلا، بل كما يتذكره السارد لحظة زمن الكتابة وبين الحدث المعاش ولحظة زمن الكتابة فاصل زمني كفيل بأن يصقل الحدث ويحرفه ويوجهه أو يرميه في سلة النسيان، ونظرا لطبيعة الواقع العربي المعاش بما فيه من عادات وتقاليد وأعراف وواقع سياسي قمعي نجد الكاتب مدفوعا إلى التخيل الروائي كقناع ليكون أكثر صدقا وجرأة في الكشف.[4]

والكاتب حين يكتب سيرته الذاتية في قالب روائي (السيرة الذاتية الروائية) فإن ذلك يزيل اللبس عند القارئ ويتلقاها على أنها التاريخ الحقيقي لكاتبها، وعندما يكشف الكاتب عن غايته على هذا النحو، فإن ذلك يعد الحد الفاصل المميز بين الرواية الفنية الخالصة وبين السيرة الذاتية المصوغة في قالب روائي، حيث استعار كاتبها تكتيك الرواية دون أن يجمع به الخيال بمعزل عن نقل الحقيقة المصورة لواقع تاريخه الشخصي، إذ لا بد للمترجم لذاته الذي يختار القالب الروائي أن يلتزم الحقيقة التاريخية في كل جزء من أجزاء تلك الترجمة، بالرغم من استعانته بعناصر من الفن الروائي[5] ، فالحدود الحقيقية بين السيرة الذاتية المصوغة في شكل روائي (السيرة الذاتية الروائية) وبين (الرواية السيرة الذاتية) هو التزام

[1] المرجع السابق، ص100.

[2] سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب 1997، ص219.

[3] محمد شهيري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص56.

[4] المرجع نفسه ، ص57.

[5] المرجع نفسه ، ص57.

الحقيقة إلى جانب الكشف عن غرضه فيعلن أنه يكتب سيرته الذاتية في هذا البناء الروائي كما يعلن عن اسمه الحقيقي وعن أسماء الشخصيات والأماكن والأحداث والتواريخ[1].

8-الميثاق السيري والنزوع الذاتي:

إن إمكانية كتابة الذات بأسلوب فني مقنع تخلخل فكرة الاكتفاء بثنائية "التخييل/الواقعية" وحدها من أجل التفريق بين الرواية والسيرة الذاتية، وتؤكد تسرع ولبس الأحكام المبنية على هذا الأساس، خاصة وأنه وجود لتخييل بحث، ولا لسرد ذاتي بحث (طالما أن السيرة الذاتية لا تستطيع أن تحدد هوية للأنا، دون التحام أو جدل مع الآخر... فالنقاد لديهم اعتقاد قوي بأن السيرة الذاتية ليست إلا جسرا للعبور إلى كتابة الرواية، فكاتب الرواية -في بدايته-انطلاقا من معرفته الحميمة بنفسه يكتب عن نفسه، وقد أشار عدد من النقاد إلى أن العمل الأول لدى أغلب الروائيين لا يخلو من تماس مع الذات[2]، وبالمقابل قد تعتمد السيرة الذاتية على التخييل (فيصبح العقد وهما) وهذا ما ذهب إليه فلاديمير نابوكوف حيث أشار (إلى استحالة حديث المرء عن ذاته في سيرة ذاتية ما، قبل أن يعي حجم التخييل الذي يتسرب إلى فكرة الذات)[3] ، إذ يستند الروائي إلى ذاته أثناء الكتابة خاصة في مؤلفاته الأولى، فيعتمد إلى بعض تجارب حياته الشخصية وما تكتنزه ذاكرته من أحداث يقوم بهدمها ثم يعيد بناءها ليصبرها مادة حكائية لنصه. وهكذا تتولد علاقة شبه دائمة بين ما يكتب ومن يكتبه بوساطة الذاكرة وانفعلاتها، فهذه الأخيرة تلعب دورا هاما أثناء الكتابة الإبداعية.[4]

وهوية النص تتحدد انطلاقا بما يعرف بالميثاق السير ذاتي الذي يعتبر حدا فاصلا بين الكثير من الأجناس الأدبية، فمن خلال وجود الميثاق في الرواية يتحقق مبدأ التطابق، ويقصد بمصطلح الميثاق السير ذاتي (العقد الذي يبرمه المترجم لذاته لينبض من خلاله على أن وقائع حقيقية لا تحمل محملا تخيليا لأنها متصلة بشخصه كأشد ما يكون الاتصال)[5]، وأصل الميثاق أنه مستمد من مقولة فيليب

---

[1] المرجع السابق، ص58.

[2] عادل الدرغامي زايد، إشكالية النوع والتجنيس، السيرة الذاتية نموذجا، مجلة علامات، ع65، النادي الثقافي، جدة، مج، 17، ماي 2008، ص180.

[3] اليزبيث بروس، الذات والذواة، السيرة الذاتية في الأدب والسينما، تر: عمر حلي، دار القروبين، الدار البيضاء، ط1، مارس 2003، ص21.

[4] سمية عطوي، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، روايات فضيلة فاروق أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص78.

[5] جليلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب الحديث، المركز الجامعي، تونس، ج1، ص14.

لوجون من مقولة عقد القراءة contrat de lecture من نظريات القراءة والاستقبال وغيرها في هذا المجال ومن ذلك اشتراك القارئ في مشروعه السير ذاتي مفترضا وجود علاقات ممكنة بين النص والقارئ، وقد يتجلى هذا العقد بشكل صريح أو ضمني.[1]

وبالحديث عن الميثاق الأوتوبيوغرافي فإنه يتجلى في عدة عناصر نذكر منها تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، والحكى بضمير المتكلم.

أ-تطابق اسم المؤلف مع السارد والشخصية:

ويمكن أن يتحقق بطريقتين:

- **ضمنيا:** وهو لا يترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف والشكل الثاني أن يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ وذلك بالتصرف مثل المؤلف بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم القائم على الغلاف وإن كان هذا الاسم غير وارد في النص.
- **جليا:** على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد الشخصية في المحكى نفسه والذي هو نفس اسم المؤلف المعروض على الغلاف.[2]

ب-الحكى بضمير المتكلم (أنا الموقع أدناه):

ويفترض أن كل السير المكتوبة بضمير المتكلم كما تدعى ذلك تعتبر الأزمة الكبيرة لأصحاب السير الذاتية (الأنا) هكذا نجد جون جاك روسو يقول: أنا، أنا وحدي "وستاندال" وهنا يجمع بين ضمير المتكلم والأنا، ويتحدد ضمير المتكلم عن طريق تمفصل مستويين:

- **الإحالة:** ليست للضمائر الشخصية (ضمير المتكلم/ضمير المخاطب) إحالة إلا داخل الخطاب، في فعل التلفظ ويشير بنفيست إلى أنه لا وجود لمفهوم ضمير المتكلم وأن ضمير المتكلم يحيل إلى الشخص الذي يتكلم والذي ندركه من فعل كلامه بنفسه.

---

[1] نقلا عن: ساميا بايا، مكون السيرة الذاتية في رواية حكاتي شرح يطول ل حنان الشيخ، دار العبداء، الأردن، 2012، ط1، ص73.

[2] نقلا عن: هدى حليمي، وسام إسماعيل، تجليات الذات في رواية "السيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني" لواسيني الأعرج، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019/2018، ص25.

- **الملفوظ:** تشير الضمائر الشخصية للمتكلم إلى تطابق ذات التلفظ وذات الملفوظ هكذا إذ قال أحدهم: "ولدت بتاريخ"
- فإن استعمال ضمير المتكلم يؤدي عن طريق التلفظ هذين المستويين إلى مطابقة الشخص الذي يتكلم مع الشخص الذي ولد.[1]

ونستنتج أن ضمير المتكلم يحيل إلى شخص أنطولوجي نفسي وهو (شخص يحمل ازدواجية واضحة، مرتبطة أساسا بمفهوم الزمن أي بلحظتين أساسيتين اللحظة الواقعة والحدث لحظة الكتابة)[2]

9-مفهوم التخييل الذاتي:

ظهر التخييل الذاتي كأحد أشكال الكتابة الذاتية التي ترتبط بالكتابة الروائية وقد استعار في تركيبته السمة المميزة للرواية وهي التخييل وقرنها بلفظة الذاتي الدالة على وجود عنصر الذات، ويعد هذا الصنف (قصة تجمع بين الخيال، وواقعية/ حقيقة السير الذاتية)[3] ، والبدايات الأولى التي تندرج ضمن هذا النوع الأدبي، كانت في السبعينيات مع الفرنسي سيرج دوبروفسكي.Serge doubrovsky الذي أورد مصطلح تخييل ذاتي على (الغلاف الرابع من كتابه "أبناء" الصادر 1977 وتلك كانت أول مرة استخدم فيها هذا التعبير الجديد)[4] ، وفي محاولة منه لضبط مفهوم التخييل الذاتي، نافيا بأن يكون سيرة ذاتية لأنها-حسبه- امتياز محفوظ للأشخاص المهنيين في هذا العالم بأسلوب جميل، فالتخييل الذاتي هو تخييل الأحداث والوقائع الحقيقية لأي كان، إنه ملجأ الحيوات العادية وسيسمح لكل شخص بأن يسرد حياته، فهو يهبه آنذاك زخرف الخيال[5] أي (العامة الذين ليس لهم حق في التأريخ، لهم الحق في الرواية)[6]، وبهذا الرأي الذي تبناه ينشأ الفرق بين التخييل الذاتي والسيرة الذاتية من حيث نوعية المادة الحكائية المشكلة لمبنى السرد.

---

[1] المرجع السابق، ص25.

[2] سامية بايا، مكون السيرة الذاتية في رواية حكايتي شرح يطول ل حنان الشيخ، ص123.

[3] Stephanie machineau : l'autofication dans l'aeuvre de calette , thése pour l'abtentian du doctotat de littérature francais ,université du maine ,France ,22 juin 2007

[4] Vincent calanna :l'autofication essai sur la fictionalisation de sai en littérature ,linquistics, ecole des hautes etudes en sciences saciales doctorat de l'e ,h ,s,s, paris, France, 1989,p16.

[5] سمية عطوي، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، روايات فضيلة فاروق، أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف مسيلة، 2017، 2018، ص84.

[6] Vincent calanna :l'autofaction essai sur la fictionalisation ,p17.

عرف مصطلح التخييل الذاتي في بداية ظهوره تذبذبا واضطرابا، حيث استقبلته الساحة الأدبية بحذر ودارت حوله التساؤلات المشككة، وقامت المحاولات الحثيثة لضبطه في مفهوم دقيق من طرف الباحثين، لأنه لم يستقر على دقة معينة بل عرف (بوصفه شكلا يتيح التأرجح بين المرجعي والمتخيل، ويفسح حيزا متسعا للكتابة المتحررة من قيود التعبير الوظيفي)[1] .

مازال هذا النوع يخطو خطواته الأولى داخل الصنوف السردية المجاورة له ويلتبس بها، فهو يجمع بين الفن الروائي والسير ذاتي[2]، إنه (يستمد أدواته وألياته منهما جميعا، في نفس الوقت، وعلى المستوى النصي الواحد، غير منحاز بالكلية إلى أحدهما على حساب الآخر فمن الأول يستمد مشروعيته التخييل بكل ما يتيحه له من حرية مطلقة في بناء الأحداث والشخصيات والفضاء المكاني خصوصا، ومن الثاني يستمد مشروعية الذات والمرجع، إذ تتأسس الذات محوريا لتصير القطب والمناط والمبتدئ والمنتهي)[3]، هذا يجمع التخييل الذاتي تفاصيل الرواية بالسيرة الذاتية في متن سردي واحد بنفس الدرجة تقريبا دون أن يرجح كفة على الأخرى، الأمر الذي يجعل المتلقى –في هذه الحالة أيضا– مرتبكا وحائرا في تصنيف هذا النوع خاصة وأن الشخصية الأدبية فيه تتلون بكل الألوان إذا تتماهى مع السارد والكاتب[4] في هوية ثلاثية (الكاتب=الراوي=الشخصية الرئيسية)[5]، لكن المؤلف ما يلبث أن يدحض ذاك التماهي حينما ينوع طرائق السرد وأساليب التلفظ لينتج في الأخير جنسا مضلا ملغوما، وغامضا، يستدعي الحذر والفطنة في التعامل معه لم يرس التخييل الذاتي على بر محدد فهو يتراوح بين رواية ترفض الخروج من بوتقة كاتبها، وبين سيرة ذاتية متخفية، فالشخوص تحمل أسماء حقيقية واقعية لكنها تغلق الأحداث المسرودة بالخيال والوهم، وكأن الروائي يعلن عن نفسه متلاعبا "هذا أنا" ثم يحجبها مراوغا "لست أنا" وهذا ما تحدث عنه جيرار جينت حين وصف التذبذب العبثي للكاتب المتلعثم أنه أنا، ولست أنا، ليدلل على الوضع الهجين لهذا الميثاق نصف المتخيل، نصف الحقيقي)[6]، ويحمي الكاتب في لعبته هذه غياب ميثاق سير ذاتي قار بينه وبين القارئ في مقابل هيمنة التخيل الذاتي الذي اعتبره جينت Ginnette (بمثابة جواز لعبور

[1] محمد برادة: الذات في السرد الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص32.

[2] ينظر: سمية عطوى، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، ص84.

[3] عبد الله شطاح، نرجسية بلا ضفاف، التخييل الذاتي في أدب واسيني الأعرج، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003، ص7.

[4] سمية عطوي، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، ص85.

[5] Maunir laouyen :l'autofiction,une iéce ption problematique ,colloque99 ,université blaise pascal,France,20/01/2000 ,p02.

[6] Ipid, p04.

الجمارك بكل أمان، والحماية من أية تهمة)[1] لأنه يقوم على تخريب قوانين السيرة الذاتية، حيث يكشف عن الذات المبدعة وفي الوقت نفسه يعبث بتجاربها الواقعية.

10-وظيفة التخييل الذاتي:

أ-التخييل الذاتي الأسلوبي:

للأسلوب قيمة جمالية في السرود، وذلك من خلال ارتباطه الوثيق بالبلاغة والفصاحة الذي يترك أثره على المتلقي، وهذا ما جعل الناقد الفرنسي دوبروفيسكي dobrovsky يدرك أن من أهم السمات التي لا بد أن تتوفر في التخييل، الذاتي هو الطابع الأسلوبي المباشر والتقريري الذي يبتعد عن أي تنميق لفظي، وهذا ما دفع به إلى رفض الأسلوب الأدبي الجميل التي تتمتع به السيرة الذاتية ورأي ضرورة أن يكون عفويا وبسيطا لأن ذلك يجعل الكاتب يمتلك ثروة لغوية يعبر بها عما يجول في مخيلته الذهنية.[2]

ب-التخييل الذاتي المرجعي:

تعد الذات الساردة مادة العملية التخييلية، فهي التي تغدى السرد وتنمية، وتؤطر المتن الروائي، ويستعيد فيها الكاتب تجربته الحياتية، بحكم عجز التخييل الذاتي عن التخلص نهائيا من رواسب الذات فيعتمد فيها الروائي على مبدأين، الانتقاء والحذف بغية إغواء المتلقي من أجل استدراجه إلى انخراط في التأويل والانزياح، لأن سر الشخصية العميقة للكاتب لا نتوصل إليها إلا عن طريق فعل الممارسة الكتابية، وعلى هذا الأساس التبست الكتابة في التخييل الذاتي، فأصبحت الوسيلة المثلى للغوص على المغيب والممتع على سرير الطبيب النفسي، وهذا ما دفع بالناقد الفرنسي دوبروفسكي إلى اعتبارها كتابة ممزوجة بآليات وقوانين تتحكم في صياغة الاسترجاع والتذكر[3] ، وقد حددها في جملة من الشروط التي من خلالها يمكن اعتبار التخييل الذاتي سيرة ذاتية "أولى تلك الشروط ما أطلق عليه اسم الإشارات المرجعية، وتضم الهوية الإعلامية، اسم المؤلف الحقيقي وأسماء الفاعلين النصيين الحقيقية كذلك مع الحرص على سرد الحقيقي والواقعي من حياة المؤلف، وعلى البوح المطلق بحقيقة الشخصية الحميمية مع تقبل ما يجره ذلك من مخاطر، ثاني الشروط هو اثبات السمات الروائية في الصفحة الأولى من الرواية

[1] Ipid, p03.

[2] ينظر: سكينة عيسوس، السرد السيري والتخييل الذاتي في رواية لعبة السعادة للروائي بشير مفتى، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر، جامعة 08ماي 1945، كلية الأدب واللغات، قالمة، 2018-2019، ص21و22.

[3] المرجع نفسه ، ص22.

التي تعد استراتيجية الرواية في السرود التي تساعد في بلورة إجراءات التلقي، أما الشرط الأخير فيتعلق بالاشتغال على النص بالبحث عن الأساليب السردية المبتكرة وتجنب التكوين الخطى للزمن عن طريق الانتقاء[1].

وبهذا فالتخييل الذاتي حسب الناقد دوبروفسكي لا بد أن يبنى على الثقل المرجعي وعن محور (الأنا) باعتبارها تنتمي إلى الذات الساردة، وأن يكون هناك تطابق في الهوية الإعلامية الموجودة في الحياة الواقعية من حياة المؤلف[2].

11-الواقع والمتخيل في السير الروائية:

لا تكمن قيمة الأدب في محاولة تبيان كيفية انتصار الخيال على الواقع بل تكمن في العلاقة التي يقيمها الأدب مع تعدد الواقع بهدف بلورة موقف معين على صعيد الثقافة والمجتمع، فالنصوص الأدبية عادة ما تتضمن هوية كاتبها، والنص السردي بصفة خاصة يقوم على اقتناص الأحداث الواقعية وبلورتها وتحريرها إلى كينونة لغوية تقع ضمن الحد الفاصل بين الواقع والخيال.

وفي اطار بنية السرد يساهم التخييل في خطاب الحقيقة وما ينتج عنه يشترك في انتاج المعرفة أي في تبلغيها بدلا من تنفيذها وفي التصريح بها بدلا من التلميح اليها وفي تحليلها بدلا من تصويرها، فاللاتخييل يريد أن يكون علما، ويسعى إلى التثبيت من خلال حصوله على التقدير بإحراز مكان في ميدان الاكتشاف والأخبار والقصص الاخباري، وبالمقابل يقدم التخييل نفسه كخطاب عن الأكاذيب وفعاليته تستلزم انتاج مغرفة خادعة، معرفة تتكلم لغتها الخاصة، لذلك تمضى عملية انتاج السيرة الذاتية بثنائية التخييل/ اللاتخيل إلى تخومها القصوى[3]، وبالرغم من أن النص الأدبي يحظى بخصوصيته إلا أنه في الغالب انتاج مجتمع معين ووليد ظرف حضاري محدد، فهو يتقاطع في أماكن عديدة مع هذا المحيط ويتفاعل معه لذلك يصير البحث عن المتخيل في الأدب كلام عن السوسيو تاريخي والمجال الثقافي

[1] نقلا عن: عبد الله شطاح، نرجسية بلا ضفاف، ص19.

[2] ينظر: سكينة عيسوس، السرد السيري والتخييل الذاتي، ص22.

[3] ج. هيو.سلفرمان، نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسين ناظم وعلى حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص148، 149.

والسياق الاجتماعي الذي أنتج داخله النص[1]، (وهكذا يصير النص الأدبي عنصرا من عناصر هذا الواقع وليس صورة أو انعكاسا له)[2] .

وتعتبر الأوتوبيوغرافيا فن يعتمد أساسا على عنصر اللاتخييل (الواقع) ولكنه لا يستغنى عن التخييل لتكتمل بيته، وبالأخص الاوتوبيوغرافيا الروائية التي تتأسس على التصريح وتحتاج إلى التلميح، تنقل الواقع وتتغدى من الخيال، تحيط بالذات وحقيقتها تجنح بهواجسها في عوالم التخييل[3]، فالحديث عن مساحة التخييل في رواية السيرة الذاتية يعتبر حديثا مقبولا إلى حد كبير على اعتبار (الرواية تحكى أحداثا في طور التطور)[4] ، وهذا ما تتحول اليه السيرة الذاتية في خضم الرواية، بينما تحافظ الاتوبيوغرافيا. على استقرارها ونمطيتها لأنها بطبيعتها التوثيقية (تحتوي على أحداث منتهية) [5] ، وهكذا يصبح الخيال عنصرا مكونا في الخطاب الروائي السير ذاتي، فالمتخيل هو بناء ذهني أي انتاج فكري بالدرجة الأولى، أي ليس انتاجا ماديا في حين أن الواقع هو معطى حقيقي وموضوعي، ويمكن القول أن المتخيل يحيل إلى الواقع ويستند اليه في حين أن الواقع يحيل إلى ذاته وهذه الوظيفة تبين تلاحم المفهومين والعلاقات المتبنة التي تربطهما، ويمكن أن نقرأ هذه العلاقة في مستوى آخر من مستويات التفكير ليستنتج أن المتخيل نوع من الممارسة لهذا الواقع، وهذا الممارسة تكون على شكل إعادة انتاجه أو ترتيب علاقاته أو تشكيله من جديد[6].

فحضور الخيال في رواية السيرة الذاتية أمر مشروع ومنطقي أيضا، ذلك أن الابداع الأدبي ينكر على الكتابة السير ذاتية أن تكون نسخة عن الواقع وعليه فإن رواية السيرة الذاتية خطاب سردي محكوم بثنائية التخييل واللاتخييل (الواقع).[7]

---

[1] نقلا: عبد القوى أحمد، السيرة والتخييل في رواية أنثى السراب ل واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة اللسانية، وهران، كلية الأدب واللغات والفنون، 2012،2011، ص22.

[2] حسين حمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2002، ص42.

[3] ينظر: حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2015،2014، ص232.

[4] بول ريكور، بعد طول تأمل، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية ناشرون، ط1، 2006، ص23.

[5] حسين حمري، فضاء المتخيل، ص227.

[6] ينظر: يمنى العيد، في معرفة النص، دار الأفاق الجديد، ط3، بيروت لبنان، 1985، ص57.

[7] نقلا عن: حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، ص233.

12-رهانات التخيل السير ذاتي في السرد:

عمد الكاتب العربي في سعيه الحثيث للخروج من سجن الكتابة المباشرة للسيرة الذاتية، من أجل معانقة عالم كتابة سيرة ذاتية أكثر تحررا وتمردا شاعرية، إلى الثورة على أبرز مقومات السيرة الذاتية المألوفة، من قبيل قول الحقيقة، الصدق، والكتابة المطابقة للواقع، فلما أفرزت رؤيته الجديدة تحققات سردية أغلبها يتأرجح بين الرواية والسيرة[1].

وبات من المألوف أن الكثير من الروائيين يسمون أعمالهم بأنها "رواية"، لكن قراءة العمل ككل تكشف للمتلقي أن تلك السرود هي في الأصل سير، كتبت على أنها روايات ويتضح ذلك من خلال الإشارات أو العتبات التي توحى بأن العمل "سيرة" وليس "رواية"، فمجموع الأحداث والوقائع في العمل الأدبي الروائي هو ترجمة ذاتية وغير ذاتية في آن، لأنه يحكى عن حياة ما في بيئة ما، في عملية توليف وابتكار لا تطمس الأحداث كلها ولا تستعيد الأحداث كلها بل تنتقى منها وتبنيها بناء جديدا يقوم على أساس الحقيقة لكن ليس على حرفيتها[2]، وقد يبدو لنا أن الروائي المعاصر رغم وعيه بمركزية الذات في فعل الكتابة، فإنه لا يحسم عادة في جنس ما يكتبه، كما يتردد غالبا في الحاق المادة الحكائية بنمط تعبيري محدد، إذ يتملكه وعي مضاعف بأن الذات كينونة يطبعها التشظي والتعدد و اللاتجانس[3].

وتعزو يمنى العيد في كتابها "المتخيل وبنيته الفنية" إلى اعتبار المعرفة التي تنتجها السيرة الذاتية الروائية أو الرواية أو العكس، (فهو يعود إلى كون السرد الروائي المتخيل بشكل قناعا يسمح بتقديم معرفة بالذات أكبر حرية وجرأة وربما صحة وحقيقة وهو نالا تسمح به الكتابة المباشرة عن السيرة (الذاتية)[4] .

إن العديد من الروايات أصبحت تتأرجح في تعييناتها بين كل من الرواية والسيرة بصفة أخص، متوسلة في ذلك بممكنات التخيل السردي التي تتيح استقصاء تجربة حياتية من منظور روائي، حيث تسعى إلى إضفاء "التخيل" على التجارب الشخصية في الكتابة السردية.

ومصطلح "التخيل السير ذاتي" هو تسمية تندرج -أساسا-في إطار معاودة الروائي النظر في الكتابة الساذجة للسيرة الذاتية، وذلك من خلال تقليص حضور نقل مادة السيرة مقابل التركيز على

---

[1] عبد المالك أشهبون، التخيل السير الذاتي في السرد العربي، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص26 (بتصرف).

[3] المرجع نفسه، ص 26 (بتصرف).

[4] يمنى العيد، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011، ص188.

تخيلها، ومن ثم استبدال الآليات المباشرة في الكتابة بأخرى غير مباشرة تكون ملتبسة مراوغة ومخاتلة كما يمكن أن يساعد هذا المصطلح إلى حل معضلة تكاثر المصطلحات التي ترمي إلى تفسير ظاهرة إضفاء التخيل على التجارب الشخصية في الكتابات السردية[1].

فمجال "التخيل السير ذاتي" ليس منحصرا بوصفه سيرا ذاتية خالصة ولا سرودا هجينة، وهي عبارة عن أنواع مركبة تجمع بداخلها بين تقاليد أكثر من نوع بسيط أوصاف مثل: السيرة، الرواية، الرواية السير ذاتية، بل نصوصا سردية يمتزج فيها الخيال بالواقعي، وفي الأخير يمكن القول أن الأعمال السردية على قلتها التي اعتمدت "التخيل السير ذاتي" حين وظفت كل الوسائل الجمالية المتاحة ابداعيا لبلورة سيرة ذاتية منزاحة عن الكتابة المباشرة للسيرة الذاتية وتمكنت وبالتالي من ربح رهانين: رهان الابداع أولا من خلال انتاج نص سردي مغاير لما هو مألوف في أدب السيرة، وثانيا: رهان تمثيل الذات والتعبير عنها بطرق ملتوية، وأساليب بلاغية ملتبسة ولغة منزاحة كما هو مألوف وتقريري من هنا تفى تلك النصوص بشكل من الأشكال ،بالأثر المراهن على تحقيقية في نهاية المطاف.[2]

[1] المرجع السابق، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص33 (بتصرف).

الفصل الثاني

ملامح الكتابة الذاتية في

رواية رحلة قريش "الخائف"

1-لمحة تاريخية عن الروائي والرواية

أ-نبذة عن الروائي:

ادريس خليفة كاتب جزائري من مواليد 21 أكتوبر 1990 بولاية البليدة، بدأ مشواره الدراسي بالتدرج بين مدارس مدينة القليعة ولاية تيبازة شغفه بالكتابة بدأ من سن 13، توقف عن الدراسة ليتفرغ كليا للكتابة والأدب، وفي هذا الخصوص يصرح قائلا: "الكتابة لعنة تعبت بذاكرتي وتجعلني أعيش ذكرياتي المؤلمة مرارا وتكرارا"[1] ، صدرت له أول رواية رسميا بعنوان فتاة الباندا عام 2016، تلتها مؤلفات أخرى هي ساكورا، انستاغرام، رحلة قريش المسماة الخائف، رواية 1312، خادم ابليس، سارة.

ب-تقديم عن الرواية:

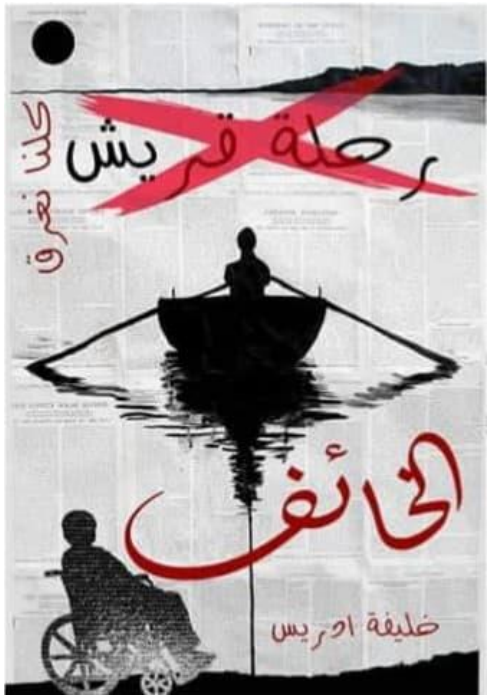

رحلة قريش أو المسماة "الخائف" هي رواية من مئة وتسعة وثلاثين صفحة، وهي عبارة عن رواية سيرة ذاتية لمؤلفها ادريس خليفة، وقد جاء العنوان الرئيسي بخط متعرج بلون أسود محذوف بعلامة × كبيرة حمراء دلالة على الحذف ومنعها بينما كتب في الأسفل كلمة الخائف بخط متعرج بلون أحمر دلالة على العنوان الجديد.

وقد اختار الكاتب عنوانا مناسبا لروايته دلالة على الخوف، لأنه أراد به توصيل الحالة النفسية التي يعيشها الحراقة في جوف البحر، بالإضافة إلى تصويره لمآسيهم التي تسببت بها السلطة السياسية لهم من قهر وظلم، والأهم أن الكاتب حاكى أحداث روايته بطريقة رائعة مثيرة يملؤها الحزن والأسى، وهذا ما جعل القراء يقبلون على قراءتها لحقائقها وأساليبها، وقد جزأ الكاتب روايته إلى ستة فصول كل فصل يحوى مدخل لكل مدخل قراءة مميزة.

وقد أتى العنوان الذي يعد فاتحة لقراءة ما في جوف الأحداث، ليساعدنا مبدئيا على قراءة النص فمثلا عندما نقرأ عنوان الرواية "الخائف" فإننا نعرف مباشرة أن ما وراء العنوان هو رواية سيرة ذاتية

[1] ادريس خليفة . رواية 1312 ، دار الكلمات للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2019 ، ص 23

للدلالة على موقف تعرض له الشخصية البطلة في النص، فلو لاحظنا الخط الذي أتى به العنوان المتعرج فإنه يشبه التموجات الدالة على أمواج بحر عنيفة.

كما أن الألوان مفاتيح لدلالات كثيرة لتوضيح ما يسعى إليه الكاتب من توصيل لأفكاره. ويمكن القول أن اختيار الألوان كان موفقا ليعبر عن ثلاثية الموت: فالأبيض يمثل الكفن، والأحمر يمثل الدم، والأسود يمثل الحداد، دلالة على عدم وجود حياة وردية، ولا لعالم مثالي، ونرى فالجانب الأيسر على غلاف الرواية قمر الضفة باللون الأسود أي أن المستقبل في أوروبا ليس مشرقا كما يعتقده البعض، أما بالنسبة إلى الضفة المقابلة في الجهة اليمنى من الأعلى تمثل أوروبا باللون الأسود، وهذا ما يعنى أنها غالبا ما تكون جحيما للحراقة وليس جنة كما يتوقعونها، صورة القارب وحيدا في بحر مجهول تمثل الشباب المهاجر أو الحراقة، والخيط الرفيع من القارب مرتبط بالجزائر مكان الانطلاق، وهي الحنين، فكل حراق ترك جزءا منه على الشاطئ، أما بالنسبة إلى الرجل على الكرسي المتحرك يمثل عجز الحكومة عن إيجاد حلول للحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية، أما في نهاية الغلاف تلك الضفة بالخط الأسود على الجانب الأيمن تمثل أرض الوطن الانطلاق وهي الوطن الجزائر، والغلاف ككل عبارة عن صفحات من جرائد، ما يمثل كثرة الأخبار التي تتناول الحديث عن الهجرة والأعداد الهائلة من الرحلات المنظمة يوميا، وفي النهاية تبقى أرض الوطن الطاهرة تنهش أحلاما بريئة سكنت أرواحا ذنبها الوحيد أنها ضحية الألاعيب.

ج-ملخص عن الرواية:

تروى معاناة شاب ضائع توالت عليه الخيبات بين تاريخ وطن طمست ملامح استقلاله المزعوم المتجسدة في شرذمة نهبت ولا تزال تنهب خيراته، وبين واقع مزري يعيشه الشباب الجزائري الذي يدفع بهم إلى ركوب قوارب الموت محاولة منهم للهروب من وطن يعكس على جدرانه خيبات مكتومة ويخزن في ترابها آمالا متعفنة، قارب تائه وسط البحر يحمل مجموعة من الشباب لكل منهم قصة دفعته لركوب القارب، حاملين أحلاما تتلون بالوصول للضفة المقابلة، لكن البحر ليس وديعا ولا الغربة ربيعا، تفاصيل صغيرة قد نغفل عنها في جوف البحر، على قارب مهترىء يسلط الضوء على مسألة الهوية الجزائرية إذ أنها لا تنتصر إلا بالتحام الجميع.

لقد صورت الرواية ظلم السلطة للشعب والصدمة التي يتلاقاها الكثيرون بعد المجازفة بأرواحهم في ظلمات البحر لأجل فردوس مزعوم يجدون في الأخير أنه يسلب منهم هويتهم وهكذا تكون مآسي بلا نهاية يدفع ثمنها ضحايا الإهمال للهروب من جحيم الأزمات.

2-الميثاق السيري والسرد الذاتي في رواية رحلة قريش "الخائف":

-الميثاق السير ذاتي:

تتحدد هوية النص انطلاقا بما يعرف بالميثاق السيري، الذي يعتبر حدا فاصلا بين الكثير من الأجناس الأدبية، فوجود الميثاق في الرواية يحقق مبدأ التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسة، مما يجعلنا نظن أن هذا النص هو سيرة ذاتية، وهذا الأخير يساعد على الوصول إلى حقائق متعلقة بالشخصية الموجودة في النص الروائي.[1]

وتتحدد وظيفة الميثاق في النص "بالتصريح والاعتراف المباشر بمصداقية الواقع المروية، والتي تستهدف القارئ وهذه الميزة تتصل بنصوص السيرة الذاتية دون غيرها، فالقارئ تغريه الحقيقة في النص، حيث يعمل جاهدا للبحث عنها، مدعوما بميثاق يربطه بالنص، ويحدد مسار تأويلاته المحكومة بالصدق والمرجعية الواقعية"[2]، وبالعودة إلى معظم كتب السيرة الذاتية نجد أن مؤلفيها قد أشاروا ضمنيا بأن ما قدموه للقارئ هو بالفعل سيرهم الذاتية، فنجد أن كلمة (سيرة ذاتية) قد أصبحت تشكل جزءا مهم من العنوان الرئيس، في حين أننا لم نجد عبارة (سيرة ذاتية) على غلاف رواية (الخائف) بالرغم من أن الرواية حاكى فيها الكاتب بصورة جلية عن سيرة ذاتية ، الا أن هناك تصريح من الكاتب في كتابه بأنها رواية بغض النظر أنه لم توجد لفظة (رواية) على واجهة الغلاف، فصحيح أن رواية (الخائف) لم تحمل لفظة (سيرة ذاتية) في واجهة الغلاف إلا أن محتواها يقر ويصرح أنها سيرة ذاتية محضة، حيث تستند إلى أحداث حقيقية عاشها المؤلف بحلوها ومرها في فترة زمنية معينة وقدمها بطابع الرواية، ما جعلها تتمسك بمبادئ الرواية المعروفة من حبكة وبطل وعقدة وموضوع، وجعلت من الشعب والسلطة السياسة هما البطلان في الرواية ومحركان لعجلة الأحداث وبرز موضوع الحراك كدليل على ذلك قوله:"... بلغ الشعب أقصى درجات الصبر ولم يعد يملك ما يخسره، لعل ما زاد الطين بلة واستفز الشعب هو اقدام الرئيس بوتفليقة على الترشح لعهدة خامسة، وإن كان نرشحه رمزيا فهو في الحقيقة لا يقرر أي شيء منذ سنوات

[1] الهام بوذراع وسامية معروف، السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية (من يوميات مدرسة حرة) لزهور ونيسي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016-2017، ص31.

[2] ساميا بايا، مكون السيرة الذاتية في رواية حكايتي شرح يطول ل حنان الشيخ، ص125.

طويلة، لقد بلغ مرحلة العجز وأضحى مجرد دمية يستغله أفاعي السياسة لجعله واجهة لأعمالهم الدنيئة"[1] ومن خلال هذه العبارة يتضح أن الكاتب كشف حقيقة جدية مست الوضع السياسي في الجزائر.

كما تجلت الذات الساردة في رواية (الخائف) من خلال جملة من الحوارات التي حاولت من خلالها تصوير معاناة شاب توالت عليه الخيبات وهذا ما يوضحه في قوله: "لأول مرة في الحياة أقف وجها لوجه أنا وأبي نتبادل النظرات لأكثر من ثانية، عادة أخفض بصرى كلما تلاقت نظراتنا، يكون قد أدرك مدى الضعف الذي أعاني منه فمن السهل جدا قراءة نظرات رجل محطم، ودون أدنى شك يكون قد قرأ في عيوني لب حياتي المسلوبة ومدى صعوبة ترميم الأحلام المبعثرة أشلائها"[2] ، حيث يقودنا هذا القول إلى صعوبة العيش مع واقع دمر أحلاما تعيش داخل روح الشخصية في حين أن طريقة السرد التي اعتمدها المؤلف في بناء نصه كانت تصب في خانة السرد الذاتي حيث يكون الصوت السردي الغالب في النص هو صوت الشخصية البطلة اسمه، استنادا على المقطع السردي "..... أدعى ادريس...."[3] .

وهنا تصريح على تطابق اسم الشخصية البطلة مع مؤلف الرواية (ادريس خليفة)، فحقيقة حضور الذات هو عنصر من عناصر تحقيق الميثاق ونجد في المقطع السردي قول الكاتب: " بعد ليلة طويلة قضيتها أتسكع في أزقة المدينة المنسية، حيث ينهش الفقر عظام الأبرياء ويجبرهم على تفقد أكياس القمامة لعلهم يجدون ما يسد فراغ بطونهم.... يحل الشتاء ضيفا ثقيلا على مدينتي تكشف لياليه النقاب عن طبقة مهمشة لا صوت لها تتهاطل الأمطار كالألم على سقوف المنازل، وتعصف الرياح بالجدران البالية فتهدد استقرارها، تخلوا الشوارع من المارة فتغتنم الأحزان الفرصة لتهول في الطرقات وتدق على الأبواب لتذكر قاطنيها بأوجاعهم"[4]، ومن خلال هذا المقطع يتضح بأن الكاتب صور حجم المعاناة والمصاعب التي تعيشها الطبقة المهمشة في المجتمع، وفي مقطع سردي آخر يقول: "يعتصر قلبي ألما كلما زرت الأماكن الملعونة المتروكة للمتشردين، تلك الشوارع والزوايا التي كانت شاهدة على ميلاد ثورة من المفروض أنها مجيدة، ها هي اليوم تتنكر لنا وكأننا غرباء لم نسر يوما على دروبها، واستبدلت الأوراق التي دونت عليها أسماء شهداء الوطن بأوراق مدونة عليها أسماء الأبرياء بطشت لهم حكومة متعطشة للسلطة صنعت فزاعة تدعى الإرهاب وانتحلت شخصية دينية لتقتل باسمها"[5]، ومن خلال هذا

[1] إدريس خليفة، رحلة قريش "الخائف"، دار الكلمات للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2019، ص135.

[2] الرواية، ص15.

[3] الرواية، ص23.

[4] الرواية، ص14.

[5] الرواية، ص17.

القول يسلط الكاتب الضوء على الاستراتيجية الظالمة من طرف السلطة على الشعب وهو في هذا الصدد يكشف عن التسلط الذي عاشه الشعب الجزائري في فترة العشرية السوداء وطبيعة الوضع المتقلب الذي كان يتخبط فيه الوطن وفي مقطع آخر يقول: " أما أنا فكنت شابا له صراعات أخرى فلا وطن كان يهمني ولا الأسعار المرتفعة، شاب هائم في الشوارع جدل من قلب امرأة وطنا له وخسره"[1] ، ومن خلال هذا يتجلى أن ما كتبه المؤلف على لسان الشخصية صادر عن ذكريات أليمة، أراد منها أن يحقق رؤية ذاتوية ليكتسب نصه مصداقية وكذا لتحقيقه لمبدأ التطابق بين المؤلف والسارد وكذا الشخصية وهذا على سبيل رواية السيرة الذاتية.

-التخييل الذاتي:

يعد التخييل الذاتي ممارسة سردية مضللة وهذا ما جعله يحظى باهتمام القراء له، فالتخييل جوهر الصورة الإبداعية ومزيج بين الصدق والكذب في آن واحد، والحقيقة أن مصطلح التخييل الذاتي لاقى التفاتة إيجابية إلى مشرع الكتابة عن الذات، ونص رواية الخائف تستجيب لذلك في الكثير من جوانبها لهذا الشكل الجديد من الكتابة عن الذات، حيث نجد مقدمة الرواية جديرة بالوقوف عندها لأنها ليست عتبة تفسر النص المركزي بل تعد عتبة لدخول النص وتفسيره أكثر مما تفسره الرواية نفسها.

لقد كتب على أعلى الصفحة السابعة عبارة (كلمة) دلالة على خطاب موجه مباشرة للقارئ ليصور من خلاله الوضع الذي يعيشه الشعب الجزائري المزري ما يدفع بأبنائه لمعانقة حلم الهجرة وكل تلك الخيبات التي توالت على بطل الرواية في دهاليز الحياة المهمشة التي يعيشها كما تصور المقطع السردي التالي ذلك: "وعلى ذلك الشاطئ تعرفت على رفيقي، مرت الأيام ونحن نبحث عن محقق الأحلام في دهاليز الحياة الضيقة إلى أن عثرنا على مركب تلاعب بنا وسلب أحلامنا، عانقنا الحياة وتمنينا الموت، لنكتشف متأخرين كم كنا سذجا"[2].

نجد أن الكاتب غالبا ما يصطنع قالبا تعبيريا يطرح من خلاله قضايا عاطفية وأخرى اجتماعية وسياسية بطريقة لا تكاد تظهر فيها ذاتيته وتفاصيل حياته بينما عند قراءة رواياته نجد أن الكاتب يوظف ويستحضر وقائع ومشاهد من سيرته بطريقة تبرز معها ذاته في التلفظ والرؤية وهذا ما نلاحظه في رواية الخائف: والملفت للنظر في نص الرواية هو حضور "أنا" الكاتب متدثرة بغلائل التخييل في شكل روائي إلا أن بروز "أنا" التخييل بقوة يبرز اعتماد مفهوم التخييل الذاتي لاستجلاء ملامح تلك الذات ولبلورة

[1] الرواية، ص18.

[2] الرواية، ص9.

وعيها داخل المجتمع، ونجد في المقطع السردي قول الكاتب: "متعب من مجتمع يحطم أحلامي قبل ولادتها ويئدها إن هي ولدت في ظلام الصمت والكتمان، فما تعبك سوى صورة مصغرة لانهاك يخالجني كلما مررت بمرآة واقعي، غريق في واقع مر تصطف فيه أسماك قريش آدمية لتسلبني جسدي، غريق في مجتمع لا يبخلني عذاب مستلهم من الجحيم ولا أخذ ينتشلني"[1] ، يصف هذا المقطع من الرواية الحالة المرهقة التي تعيشها ذات البطل بسبب مجتمع يلحق الأذى بأبنائه ويجبرهم على العيش مع كل أحلامهم المتعفنة بهدوء، لقد عبر الكاتب من خلال الكتابة الذاتية على الحالة النفسية التي تعيش داخل أجساد الشباب والحوارات التي تتبدى داخلهم.

-الميثاق الروائي:

يلجأ الكاتب في الميثاق الروائي إلى المواربة في تدوين سيرته الذاتية، لما للسيرة الذاتية من تبعات اجتماعية، ومواقف تتعلق بالشخوص التي تذكر في النص، وكشف لأسرار لم تكن تربطهم للعلن، وكلها أمور لا تخص المؤلف فحسب، وإنما تتعلق بأناس تربطهم بهذا المؤلف علاقات، وهذا ما منع الكثيرين من تدوين سيرهم الذاتية، أو اللجوء إلى الإعلان عن ذلك فتقنعوا وراء التقنية الروائية، وعرضوا تواريخ حيواتهم دون الإعلان عن ذلك مباشرة[2]، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نسمى أي عمل فني ب (سيرة ذاتية) إلا إن كان مكتوبا بهذه النية، ولهذا الغرض بالضبط أي أن يقول لنا المؤلف: "هذه هي مذكراتي" أو " هذه هي حياتي" ويكتبها بأسلوب السرد المباشر لحياته، أما إذا صب هذه الحياة في قالب روائي أو فني أيا كان فإنه في الحين يصبح عملا فنيا لا ينبغي لنا بأية حال من الأحوال أن نسميه سيرة ذاتية.[3]

نجد بأن الكاتب يحترم الميثاق السيري الذاتي احتراما كليا من خلال تطابق بين المؤلف –السارد– الشخصية ومن جهة أخرى يصرح بأنها "رواية" من خلال بعض الصور التخييلية في النص، لكن نص رواية الخائف تستجيب للميثاق المرجعي الذي يصاحب الميثاق السير ذاتي وتقيم العلاقة بين حياة المؤلف الواقعية وحياة الشخصية داخل المتن الحكائي، الأمر الذي يستحيل أن يكون صدفة محضة، حيث نجد تشابه حد التطابق بين مسار حياة الشخصية والحياة الواقعية في قول الكاتب "إن الجزائر

[1] الرواية، ص26.

[2] ينظر خديجة حامي، السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل درجة ماجستير في الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012-2013، ص160.

[3] المرجع نفسه، ص160.

صفحة الهية بدون رقم إيداع، أرض مقدسة لطالما رويت بدماء طاهرة، تاريخها الممتدة جذوره إلى نواة الأرض.... حتى تاريخها وجبروتها لم يحميها من داء أصيبت به، "داء البوتف" الذي تسلل اليها حين خرج الشعب ليحتفل باستقلاله وتركها عارية في زمن رجال أصابهم الكبت لتولى السلطة، فرحة دفع الشعب منها طيلة السنوات التي تلت الاستقلال الذي لم يكن سوى تمثيلية فرنسية، فرنسا التي أحسنت غرس أتباع لا يمكنهم خذلانها"[1]، يوضح هذا المقطع السردي أن تاريخ الشخصية يتطابق مع تاريخ المؤلف ولكونهما يعيشان نفس الفترة الزمنية، وفي مقطع سردي آخر يقول الكاتب: " في وسط البحار تنفتح دفاترنا المغلقة وتستعرض أمامنا صفحات الألم الممزقة وتعيد سرد الخيبات على مسامعنا، ذلك النوع من المغامرات التي لا تضيع فرصة النبش في الماضي المدفون الذي طويناه وألقيناه في جوف خزنة الذاكرة"[2] ، نجد هنا أن الكاتب يقيم علاقة بين تاريخ الوطن والشباب المهاجر الذي كان ضحية لاستغلال المتربصين بثروات وطنهم، لتنهشهم الأزمات والخيبات، فتدفع بهم للهروب بركوب أمواج بحر مجهول متحدين الموت، ومن خلال كل هذا فإن الرواية تدفع بنا إلى تصنيفها ضمن "الرواية السيرة ذاتية" التي تحمل خصائص كل من الرواية والسيرة الذاتية معا، كما أن الميثاق الروائي قد يكون عقدا مضللا مارسه الكاتب "ادريس خليفة" نتيجة لظروف عديدة فرضتها البيئة الاجتماعية والمسؤولية الأدبية لنصه، وعليه تكون سمة "رواية" مخاتلة ومراوغة اعتمدها الكاتب لحجب بعض التجارب داخل نصه.

-الشخوص الحكائية

-تمثيلات الشخصية الرئيسية:

هي المحور الرئيس في الرواية، فهي التي تدور حولها الأحداث، ونجدها المسيطرة على العمل الروائي، وتصرح تهاني عبد الفتاح شاكر في هذا الصدد "الشخصية الرئيسية التي تدور جميع الأحداث والشخصيات في فلكها، وفي نفس الوقت ترتد انعكاسات أفعال الأخرين عليها فتترك أثرها في حياتها"[3] ومعنى هذا أن الشخصية الرئيسة هي الركن الأساسي الذي تقوم عليه الرواية، فكاتب الرواية يتخذ من الشخصية الرئيسة لنصه هدفا أساسيا تتوصل مغزى معين أو رسالة ما أو فكرة معينة.

فالشخصية البطلة التي تدور الأحداث حولها في رواية "الخائف" هي شخصية ادريس، وهو شاب ضائع بين متاهات الحياة بسبب توالى الخيبات عليه، وتعرضه لانتكاسات علاقاته العاطفية، حيث يعيش

[1] الرواية، ص7.

[2] الرواية، ص8.

[3] تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، 2002، ص101.

في زمن حكم الرئيس بوتفليقة، بين صراع خارجي يحمل ردود عنيفة على ظلم السلطة السياسية للشعب وأطماع المتربصين بالوطن لاستغلال ثرواته، وبين صراع نفسي عاطفي خسر نفسه فيه يعيش في كنف أسرة متكونة من أب وأم وأخت صغرى، فشخصية ادريس هي شخصية سجينة لهمومها، مثال ذلك: "إن الجحيم المسعر كان ليكون أكثر رحمة ورأفة بي من جبروت كلماتها فقد سقطت بفضلها إلى هاوية العالم حيث يستحيل على المرء النهوض من جديد"[1]، وفي مقطع آخر "... لم يعد للوقت أهمية تذكر أصبحت الأيام متشابهة وكرمز ليأسي أهملت لحيتي وأطلقت لها العنان لتكبر وتغزو وجهي"[2] .

ومن خلال هذين المقطعين نجد بأن الشخصية البطلة هي على حافة الاستسلام بسبب الألم الذي تعرضت له ومازال ملتصق بها.

ومن جهة أخرى فشخصية ادريس هي شخصية رافضة للخضوع للسلطة الظالمة، وهذا من خلال قولها: "فقدت مكاني في هذا الوطن العزيز تماما سنة تولى فخامته مقاليد الحكم، ولأن الفقر في وطني أضحى عيبا وعائقا للظفر بأي منصب عمل لم تعد شهاداتي المتآكلة من فرط القدم والنسخ ذات أهمية فقد عزمت أن لا أراهن عليها بعد اليوم"[3]، نجد أن شخصية البطل تناقش الوضع الاجتماعي والحالة التي أضحت سبيل كل شاب مثقف، وهي البطالة وهذا نتيجة إهمال السلطة لهذه الفئة من الشباب.

وفي مقطع سردي آخر: "مثلى مثل شباب الوطن قد ملت حيطان الحي من اتكائنا عليها طيلة النهار ولو أتيحت لها الفرصة لركلتنا بعيدا، تحدثنا منذ أيام عن الهجرة السرية التي يلجأ إليها كل من نفسه ذرة عزة لم يرد تضييعها"[4].

يتضح لنا من خلال هذا المقطع تأزم الوضع الاجتماعي وكثرة البطالة تدفع دوما بخيرة شباب الوطن إلى اعتناق فكرة الهجرة، فهم يرونها الملجأ أو المفتاح لمشاكلهم، ونجد في قول الشخصية "... إنها رحلة لا تختلف عن أي رحلة سوى في فرط الأخطار التي تزين حوافها، نسميها "الحرقة" لا داعي للقلق أمي لن أحرق جسدي فأنا لا أتمتع بشجاعة "البوعزيزي" كما أني لست "طارق بن زياد" الذي أحرق سفن جنوده رغم كونها رواية من التاريخ المكذوب، كل ما في الأمر أني سأحرق أوراق هويتي حتى إذا عثروا علي جهلوا من أين أتيت، فدقيقة ركوبي للمركب تجعلني مجرما والوطن الذي غادرته مسرح جريمة

[1] الرواية، ص22.
[2] الرواية، ص22.
[3] الرواية، ص10.
[4] الرواية، ص11.

لا أود أن أعود إليه"[1]، لقد صور الكاتب من خلال هذا المقطع السردي شخصيته على أنها متمردة على من حولها، فهي اختارت الهروب من ظل الأزمات، وبررت موقفها بأن لا حياة لها على الأرض مليئة بالأكاذيب فالهجرة هي الخيار الوحيد أمام أرض تحمل خيبات تعكسن أمالا متعفنة.

استطاع الكاتب أن يبدع من خلال شخصية ادريس في كتابة سيرتها وجعلها شخصيته البطلة محورا أساسيا في روايته، فحكى لنا سيرة حياتها وصور لنا معاناتها وبهذا فقد استطاع تسليط الضوء على الظروف والآلام والأوجاع الذي يعيشها ويعاني منها الشباب.

-حضور الشخصية الثانوية:

تأخذ الشخصية الثانوية أدوارا معينة في النص الروائي وتظهر لنا بين الحين والآخر، وتكون لها علاقة بالشخصية الرئيسية وعلاقة بتفعيل عجلة الأحداث، وتعرف الشخصية في قول محمد عبد الغنى المصري: "يأتي بها الكاتب القصصي لتلقى الضوء على تصرفات الشخصية الرئيسية لكي تبدو لنا تصرفاتها معقولة، وسلوكاتها قابلة للتصديق وهكذا يتوقف عدد الشخصيات الثانوية على أهمية الجوانب التي يريد الكاتب كشفها من شخصية البطل في النص السردي"[2]، أي أن الدور الذي تؤديه غير أساسي مقارنة بالشخصية المحورية، فهي تساعدها لكي لا يشعر القارئ بالملل وفي نفس الوقت تساهم في سير الأحداث.

-شخصية ايمان:

وهي صديقة للبطل ادريس، وبعبارة أخرى كانت أكثر من علاقة صداقة بينهما، وهذا من خلال ما ورد في الرواية "ركضت خلف رضاك أعواما وتجاهلتني وحين احتجتني كنت دوما الكتف الذي سالت عليه دموعك، هل قصرت يوما معك؟ أتعتقد حقا أنني كنت مجبرة على مواساتك وتحمل حماقاتك وتصرفاتك الصبيانية كلما هجرتك سارة؟ فبأي حق تعاتبني نظرتك الآن؟ سأتزوج لأنك خذلتني، نعم خذلتني بحجم المجرة بعدد نجومها وخلفت جرحا في قلبي كثقب أسود يمتص سعادتي"[3]، من خلال هذا المقطع من الرواية نجد أن العلاقة التي كانت تجمع البطل بشخصية إيمان هي علاقة البحث عن

---

[1] الرواية، ص11.

[2] محمد عبد الغنى المصري، مجد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق، عمان، 2002، ص155.

[3] الرواية، ص20.

الاهتمام فالبطل وجد في شخصية إيمان متكأ يسند عليه نفسه كلما عصفت به أمواج الخيبات وتعلقه بها لا يعد حبا بل بحثا عن ملاذ يضمه من أوجاعه ويتقبل أراءه وأفكاره.

-شخصية السيد:

وهو شاب مصري في منتصف الثلاثينيات مقيم بالجزائر منذ خمس عشر سنة، تائه في أزقة المدينة يطارد شبحا له من الماضي، على الشاطئ الرملي يلتقى به ادريس فتجمع بينهما فكرة واحدة هي كيفية الهروب من الوطن ونجد في قوله: "أخذ يحدثني عن قوارب تشق المحيط وحلم يقطع البحر نصفين كغص موسى راسما دربا للعبور، لمست في حديثه رغبة ملحة في الوصول للضفة المقابلة، أسمع صوتا خفيا يناديني يدعوني لركوب أحلام "السيد" كلماته أيقظت بداخلي رغبة دفينة بالهروب، خطوة منعنى الخوف من الأقدام عليها، وجدت نفسي أستجيب بشوق شديد متناسبا ثقل حروب قديمة وحديثة[1]، تعد شخصية السيد نافذة رؤية لشخصية البطل لتحقيق الحرية لأحلامه والخلاص من تراكمات الخيبات والأزمات عليه. نجد في مقطع سردي آخر قوله:" تعاهدت ورفيقي أن نتمسك بحلم يجمعنا في الضفة المقابلة وهناك بحثت عنه طويلا دون جدوى وقد كانت تلك أول مرة يخلف صديقي بوعده. حين أفقت من عفويتي كنت لا أزال معلقا بقطعة خشبية تجاهد نفسها لتطفو بي حين رأيته من بعيد يستقيل قاربا حاملا زادي ويرحل... تركني أصارع أمواج البحر ومضى"[2]، ومن خلال هذا المقطع يظهر جليا خيانة أقرب شخصية له، تشاركا نفس الحلم، لكن الكاتب صور مشهد الخيانة على أنه صراع على البقاء في جوف البحر الكل سيبحث عن حلول لنجاته حتى لو كلفه ذلك خيانة أقرب إنسان إليه.

- شخصية رياض:

وهو شاب من احدى المدن القبائلية، ومثال لواقع محبط الذي يعيش عليه، شاب على عتبات العشرين من العمر، تخرج كصيدلي في حي قلما كان شخص آخر ينجح فيه، ابتسم حين حمل شهادته بفخر لينطلق في رحلة البحث عن العمل لتصادم بعبوس الحياة في وجهه وتسلبه السعادة التي غزت روحه وفي المقطع السردي التالي يقول الشخصية "...بعدها وجدت أن الصيدلة أصبحت مهنة تمارس في الأزقة المظلمة وتتطلب قدرا كبيرا من الشجاعة والدهاء كي لا يلقى عليك القبض، ثم أن غض البصر الذي تمارسه دولتنا في حق الطلبة المضربين كان بمثابة الضربة القاضية التي جعلتني أستفيق من

[1] الرواية، ص25.

[2] الرواية، ص9.

أحلامي الوردية. لا فائدة من تحصيل الشهادات إن لم تكن تمتلك معارف"[1]، نجد بأن الشخصية هنا تظهر حالة الشباب المثقف الذي وضع في خانة الإهمال ليبحث عن طريقة لا تناسبه ليكسب منها لقمة لعيشه فالشهادات لا فائدة لها من دون أن يكون فيها وسائط لظفر بمنصب عمل. وفي موضع آخر تظهر شخصية رياض ساخطة على الأوضاع الاجتماعية وبالأخص منها تلك الصحية وهذا ما يمثله قولها: "لماذا يأبهون؟ إن كان علاجهم في الخارج وأدويتهم تأتي من أهم غير الشرعية فرنسا"[2]

-شخصية مراد:

شاب من الغرب الجزائري، طالب متفوق في دراسته متخصص في مجال الطب لم ينهى دراسته لأن الخوف من أن يكون نكرة منسية قابعة على زاوية اعتراه وليجد نفسه عالة على عائلته تصرف عليه أملا دفعه للهجرة ونجد في قوله: "... رأيت أن أفضل حل لي هو الهجرة من أجل مواصلة دراستي هناك حيث لا ظلم ولا تتميز فبقدر عطائك يأتي ثوابك، ففي الوطن الذي أدرت له ظهري قبل أن يفعل هو غالبا ما تكون قيمتك حسب معارفك"[3].

نجد في هذا المقطع أن شخصية مراد تسلط الضوء على مسألة المثقف وهجرة الأدمغة الذين لم يجدوا أي مبادرة من طرف الدولة لدعمهم والنظر في فائدة تقديمهم الأفضل لمجتمعهم فالدولة تغض نظر عن هذه الفئة لتجد نفسها في الأخير في حيز التهميش والإهمال.

-شخصية فاتح:

شاب من مدينة العاصمة، يبلغ من العمر ستة وعشرين من عمره، ذنبه الوحيد أنه فتى لقيط تخلى عنه والداه لتحتضنه جدران مركز إيواء الأيتام وتدفع به بعمر الثانية عشر إلى الشارع ليقضى ليالي وسنين بين أزقة ودروب مظلمة، ونجد من خلال المقطع السردي قول الشخصية: ".... ورغم صغر سني تعلمت معنى القسوة وحب الذات، يلومني الجيران على قسوتي وعدم اكتراثي بما يدور حولي، يصفونني بالمتعجرف المجنون لأني لا ألقى بالا للحياة ولا يدركون ما مررت به، تلك اللقمة التي أستشيط غضبا حين يلقيها أودهم كنت أخوض معارك من أجل نيلها، وتلك الملابس الرثة التي ترمى في قماماتهم كنت أبكي الدمع في الليالي الباردة من أجلها، كيف أشرح لهم أن المشاعر المدفونة داخلي كانت ضحية

[1] الرواية، ص39.
[2] الرواية، ص39.
[3] الرواية، ص42.

ثروة"[1]، برز من خلال هذا وصف عميق لحالة التشرد الذي يعيشها الفئة المنبوذة في المجتمع، مقاتلتها من أجل الحصول على لقمة من لقمات لتسد جوعها، والبحث عن قطعة قماش رثة لتحتمي بها من عنف الليالي الباردة.

-شخصية الطاهر:

شاب من الشرق الجزائري، شاوي الأصل، شخصية مشككة في روايات التاريخ التي كان يلقيها عليه جده المجاهد، فلما تكن تحضى باهتماماته لأن الوطن بالنسبة إليه لم يعد يصلح للعيش فقد أضحى وكرا تحكمه الذئاب، فالأرض المقدسة التي رويت بدماء زكية كانت أنذاك نقية لأناس بربر وأمازيغ ينعتونهم بالهمج لكنهم أحرار، لقد وجد في روايات جده عن التاريخ تحريضا غير مباشر للانتقام في لحظة عجز ونجد في المقطع السردي قول: "إن من يخشون في الجزائر اليوم تقبلوا فكرة أن يقودهم أتباع فرنسا ويملوا عليهم أفعالهم وقد قلبوا التاريخ الذي نسب إليهم زورا حتى أننا نجد بينهم من يتنكر لأصله، يطمحون بعضهم البعض، يرفعون من شأن من لا شأن له، ويدعمون الحمقى لهذا لا أرى سببا يدفعني من الانتقام لهم وإنما من قضى نحبه يستحق أن أجعل اسمه يذكر من جديد"[2].

يتجلى لنا من خلال هذا المقطع أن هذه الشخصية ساخطة على الأكاذيب الملتصقة بالتاريخ ويلقى باللوم على الأتباع الذي غرستهم فرنسا يتجلى لنا وقد كانت فرنسا جيدة في انتقاء أتباع لها أجادوا تأدية أدوارهم نحوها ومن خلال نشرهم للأفكار التفرقة والفتنة بين فئات المجتمع الجزائري.

-شخصية ياسين:

شاب من صحراء الجزائر وهو مدان هارب من العدالة، مدان قانونيا وبريء شرعا، يخوض رحلة هربا من نفاق المجتمع، هربا من تاريخ مزور ونجد في المقطع السردي قول الشخصية: "منذ شهر قتلت جاري كان في الخمسين من عمره، عرف عليه المواظبة على صلواته جميعها في المسجد لم يكن يؤذي نملة وهذا بشهادة جميع أهل الحي وحتى الآن أنا مذنب شرعا وقانونا لكن في تلك الليلة وعلى غير العادة عدت باكرا من العمل متخليا على الروتين الذي أسير عليه وما آن دخلت شقتي وجدته هناك يحاول الاعتداء على زوجتي، لم أفكر مرتين فقتلته عمدا بدم بارد وهنا برأني الشرع وأدانني القانون"[3].

[1] الرواية، ص44.

[2] الرواية، ص58.

[3] الرواية، ص65.

ومن خلال هذا نجد أن الشخصية تبرر لنفسها موقف القتل بدافع الشرف وأن المجتمع وأفراده يتمتعون خلف البراءة ليخفوا شخصيتهم المظلمة.

ونجد أن الشخصيات المركبة المحورية سبب معاناتها هو النظام الحاكم فقد قام بإبادة أحلامهم، بالرغم من كونهم ضحايا إلا أنهم مذنبون في حق ما آلت إليه الجزائر بسبب سكوتهم.

وقد صور الكاتب من خلال هذه الشخصيات الفئات التي يحتويها المجتمع الجزائري وأبرز صوتها، فهي تأسس للهوية الوطنية.

-شخصية خولة:

شابة من سورية كانت تعمل أستاذة لغة فرنسية حين كانت سوريا آمنة ما فتأت أن تغيرت حياتها إلى الأسوأ حين قام الجيش باغتصاب أختها ومطاردتها وخطف أخيها وشنق والدها، هي شخصية مساعدة للبطل حيت تقابلا على ظهر سفينة وكانت خياره الوحيد للهروب من قبطانها " تكلفت خولة بالحديث واكتفيت انا بالإنصات، بعد أن أنهت مرافقتي الكلام هز رأسه موافقا وأخبرها حسبما قالته لي أننا سنغادر السفينة الليلة حالما نقترب من البر سيتم اصطحبنا بقارب صغير إلى شاطئ مهجور لا حراسة عليه وبعده علينا تدبر أمورنا بأنفسنا"[1].

الفضاء المكاني:

لا يمكن لنا أن نتخيل عملا روائيا بلا فضاء، فهو أساس البنية السردية فلا يمكن أن يكون هناك حدث من دون مكان، فهو ركيزة أساسية في الرواية، أو القة أو السيرة. كما ينقسم المكان إلى نوعان: أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة، لكل منهما دلالة خاصة بها، فالأماكن المفتوحة تحمل في طياتها الراحة والسكينة والهدوء، وتبحث في النفس السعادة والطمأنينة، عكس الأماكن المغلقة التي يشعر صاحبها بالضيق والقلق والارتباك، ويبعث في النفس الألم والقهر، وهذا ما سنتطرق إليه مع الأمكنة التي ذكرت في رواية "رحلة قريش" (الخائف).

[1] الرواية، ص95.

-الأماكن المفتوحة:

الشارع : نجد مصطلح الشارع قد تكرر عدة مرات في نص الرواية، نجد ذلك في المقطع الآتي: "تخلو الشوارع من المارة فتغتنم الأحزان الفرصة..."[1] ، وفي قول الراوي: "شاب هائم في الشارع جعل من قلب امرأة وطنا له..."[2]

وصف الكاتب الشارع في هذه الرواية وصفا دقيقا، مصورا حالات المجتمع أثناء تسكعه في أزقة المدينة المنسية فكلما ذكر الأزقة والأروقة والشوارع كانت أحداث الرواية في الليل، فظلمة الليل تعبر عن الهم واليأس، والحزن وهي بداية رحلة الكاتب، (فجدران تلك الشوارع كانت مؤنسا لكل من اتكئ عليها) في قارب الموت، فتلك الأحياء والأزقة كانت شاهدة على المعاناة والآلام التي كان يعانيها المواطن البسيط وذلك في قوله: "قد ملت حيطان الحي من اتكاءنا عليها طيلة النهار ولو أتيحت لها الفرصة لركلتنا بعيدا.[3]

وقد يتحول الشارع من مكان يصور معاناة الشعب إلى مكان يلجأ إليه كل من يريد التغيير ويطالب بحقوقه، لكل سلمية، وهذا في قوله: "لأول مرة يتجمع حشد لا نهاية له ولا بداية في شوارع العاصمة لأول مرة تم إلغاء كل الانتماءات الدينية والعرقية وتجمع الشعب الجزائري تحت راية واحدة".[4]

ونجد أيضا مصطلح الشارع في قوله: "لن تصحى في بالي حين بلغنا شارع حسيبة بن بوعلي" في العاصمة ووجدنا مئات قارورات المياه على طرف الطريق ثم وضعها من قبل المواطنين لشرب المتظاهرين منها"[5].

وهنا صور لنا الراوي مشهدا إنسانيا، فبالرغم من كل الظروف السياسية، إلا أن الجانب الأخلاقي يبقى سيد المواقف وهذا ما أثبت للعالم بأكمله أن التغيير يكون بمثل هذه المواقف لا بالذهب والتخريب.

وقد تغير مصطلح الشارع إلى عدة أسماء أخرى كالحي والزقاق والأروقة، وكلها كانت على عاتقها مشاكل وهموم المواطن الجزائري على عكس تصويره لشوارع باريس حيث وصفها بالشوارع النظيفة والمضاءة والمفعمة بالحب في قوله، "الحياة في باريس مختلفة من وطني فهي مفعمة بالحياة والأفكار

[1] الرواية، ص14.
[2] الرواية، ص18.
[3] الرواية، ص11.
[4] الرواية، ص135.
[5] الرواية، ص136.

والموسيقى، إنها مدينة مفعمة بالحب، تسترزق مياهها من ينابيع الفرح... أخيرا بدأت أفهم السحر الذي جذبني إلى هنا، إنه الحب يا "خولة"..."[1]

كما صور لنا الكاتب الإهانة التي كان يتعرض لها العرب في الدول الأوروبية ويتجسد ذلك في قوله: "تذكرت كيف جلست على طرف الرصيف، تذكرت ذلك الشرطي الذي أهان عربيا لعروبة أسمعه كل أنواع الشتم ونالت أمه النصيب الأكبر، ...فأصبحت نلعق أقدام الغرب وثم ربطنا بالإرهاب...لا ذنب له غير أنه عربي"[2]، وهذا تجسيد للواقع حيث يعيش العرب في الدول الغربية في تمييز عنصري. وأول كلمة توجه لهم أنهم إرهاب ومجرمين، وهذا ما يعيشه معظم العرب في أوروبا. فبالرغم من جمال وبهاء طلتها إلا أن وطنك الذي تنتمي إليه بسلبياته خير لك من العيش بلا كرامة في بلد يقيم مسيره حاشدة شعارها رفض التواجد العربي على أراضيها، فلا يوجد خيار أكثر اقناعا من نعمة الوطن لأم التي لا مثيل لها، وهذا تجسيد إلى أن المواطن الجزائري أو العربي ينبهر بالقشور ويهمل الجذور.

البحر: لقد كان البحر في هذه الرواية جسر عبور أو طريق الانتقال إلى أوروبا، بالرغم من أنه قد يتحول إلى قرش يبتلع كل من كان عليه، من أجل الوصول إلى الضفة المقابلة، فصعوبة العيش في بلد لا تتوفر فيه أبسط الأمور للعيش الكريم.

فالكاتب هنا جعل من البحر مكانا للهروب إلى من الواقع المرير والحياة السياسية والاجتماعية المنكدة، إلى الضفة المقابلة التي تحقق لكل من وصل إليها العيش الكريم.

فبالرغم من هدوء البحر وسكينته إلا أنه قد يكشر أنيابه فيتحول من طريق للنجاة إلى تابوت للموت. ويتجسد ذلك في قوله: "...فقد كشر البحر عن أنيابه، كل من كان يحمله لنا بين أمواجه العاتية أيامه الحارقة...كان الموت".[3] كذلك قوله: "صوت البحر، أصغي جيدا، أنصت بعمق فالبحر يعج بالأحلام الغارقة والأرواح العارقة"[4].

وهنا بين لنا الكاتب أن كل من يركب أمواج البحر في قارب الموت يملك خيارين إما الموت بشرف بحثا عن التغيير خير من البقاء في مجتمع تتحكم فيه لوبيات المال أو الوصول إلى الضفة المقابلة والعيش بكرامة، فبالرغم من وجود خطير الموت في قاع البحر غرقا إلا أن المحاولة في الوصول

[1] الرواية، ص121.
[2] الرواية، ص125.
[3] الرواية، ص76.
[4] الرواية، ص81.

أفضل من الجلوس ومشاهدة الظلم والتهميش. ويتجسد هذا في قول الكاتب: "وتعلمين يا مصدر الحياة أني في البحر قد أكون طعما للأسماك إنه البحر يا أماه.... وأنا لست مثل نبي الله يونس الذي ظل في بطن الحوت دون أن يمسه بسوء"[1].

2-الأماكن المغلقة: لقد تعدد ذكر هذه الأماكن في الرواية لارتباطها بالشخصيات نذكر منها:

المنزل:

لقد احتل البيت في هذه الرواية موقعا هاما في الرواية، فقد وظفه الراوي ليعبر عن الدفء العائلي وهو رمز الإنس والمحبة سواء كان يحمل ذكريات سعيدة أو حزينة، ونجد ذلك في قوله: "فقد اجتمعنا كلنا في منزلكم للاحتفال بعيد ميلادها"[2].

صور لنا المنزل على أنه أصل الانسان وانتماءه وهو تجسيد للهوية والذات. وذلك في قوله: "...في الزاوية الغربية لمنزلنا كنت أتحسس الجدران.... لا تزال الحياة بخير أدركت حينها أني أعد طفيليا في بلد غربي، لم أعد هاربا تتلاعب به الأمواج الهو جاء بل إني شاب له أصل ومكان ينتمي إليه..."[3] ، فالإنسان مهما ابتعد وغادر أهله ووطنه، تسمر الأيام والنسيت ولن يجد الراحة، إلا في منزله الأصلي.

نجد أيضا لفظة منزل في عبارة: "أقف عند باب المنزل العائلي مترددا في الدخول. أخاف ردة الفعل التي سأقابل بها.... لكن ما يخيفني ويثير الرعب في نفسي هي تلك النظرة الساخطة التي سيستقبلني بها أبي...فقد منظري أضحى مختلفا"[4]. وهذا دليل على أنه مدرك للخطأ الذي ارتكبه بركوبه لقارب الموت تاركا وراءه معاناته التي تخاف رؤية البحر الذي أخذ منها أعز ما تملك.

الغرفة: نجد غرفة البطل في الرواية فضاء مغلقا وخاصا، فهي المكان الذي كان يقضي معظم وقته فيه في قوله: "تكونين قد أدركت أنني لست متواجدا في الغرفة التي نادرا ما غادرتها"[5]. كذلك في قوله: "غالب ألتحق بغرفتي كل ليلة بعد أن يخلد الجميع للنوم، أكون حينها مجردا من وعيي يعودني سلطان النوم لا

[1] الرواية، ص11.
[2] الرواية، ص110.
[3] الرواية، ص124.
[4] الرواية، ص108.
[5] الرواية، ص10.

غير، لكن يومها كنت متسلحا بأملي في غد أفضل.... رحت أتساؤل: هنا أو وراء البحار ماذا سيتغير؟ كانت أول مرة أفكر فيها بالهروب"[1] ، هنا أصبحت الغرفة مكانا للتفكير والتخطيط للهروب إلى المجهول.

كما رصدت الرواية أشكالا أخرى من الغرف عكس التي صورها الكاتب في بداية الرواية، في قوله، "كنت في غرفة بالية صقيعها منعش، رأيت فيها أجمل نسيج عنكبوت متربع في زوايا سقفها المخروم وأرضيتها المتسخة كانت اتقى من أرواح أشخاص عرفتهم في الماضي، تتبعث من جدرانها رائحة فتنة لكنها زكية في نفس الوقت"[2]. جمع الكاتب هنا بين المتناقضات، فالجمال بالنسبة إليه ليس تلك الأرضية النظيفة والسائر الحريرية والأرضية النظيفة بل الجمال هو أن يكون بعيدا عن النفاق والفساد والظلم والجو.

القبو: عادة ما يكون هذا الفضاء من أكثر الأماكن قدرة على تقييد حرية الذات وشعورها بالضيق المكاني يقول حسن بحراوي: "ويزداد الضيق على حركة الشخصيات عندما تكون نزيلة زنزانة انفرادية متناهية الضيق وسيئة التهوية مما يجعل قدرتها على الانتقال تختزل للصفر"[3].

وبهذا يعد القبو مضاعفة لعقوبات السجناء ونجد ذلك في قول الكاتب: "ثم أمر القبطان رجاله بأن يصطحبوني إلى القبو.... وسجنت في قبو السفينة المقزز" [4].

الكنيسة: تعتبر الكنيسة مكانا للعبادة بالنسبة للمسيحيين، وقد تم ذكرها في الرواية من خلال المقطع التالي: ".... قبلت بالعمل مع شاب مغربي يدعى "رضوان" تعرفت عليه خلال وجبة الغداء التي تنظمها الكنيسة كل يوم أحد من أجل المحتاجين"[5].

وهنا صور لنا الراوي درجة المعاناة التي يمر بها كل من فكر في ترك وطنه، وذلك بانتظار كل يوم أحد من أجل الحصول على وجبة مجانية، من الكنيسة التي طالما كانت مكانا منبوذا لا يفكر حتى في الدخول إليه كونه لا ينتمي إلى هذه الطائفة لكن الحاجة الملحة للنظام جعلته يتقبل هذه الفكرة حتى وإن لم يرد ذلك.

---

[1] الرواية، ص16.

[2] الرواية، ص84.

[3] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص244.

[4] الرواية ، ص 88

[5] الرواية، ص117.

فالاختلاف في الأديان والمعتقدات لا يعنى أن الإنسانية نجدها في ديننا الإسلامي فقط فهنالك دائما جانب خفي يحمل إيجابيات في داخله.

المركب: لقد احتل المركب في هذه الرواية موقعا هاما، فقد وظفه الراوي في معظم فصوله لارتباطه بأحداث الرواية في قوله: "....إلى أن عثرنا على مركب تلاعب بنا وسلبنا أحلامنا"[1] ، وفي قوله أيضا: "كل ما في الأمر أني سأحر أوراق هويتي حتى إن عثروا علي وجهلوا من أين أتيت فدقيقة ركوبي المركب تجعلني مجرما"[2]، هنا بين لنا الكاتب أن القوارب التي يظن البعض أنها ستحقق لهم أمانيهم ماهي إلا جنة مزعومة سرعان ما تسقط في الماء.

كما نجد عبارة: "لكل واحد مناقصة دفعته لركوب الموج وخوض رحلة إلى المجهول"[3]، فكل من يركب قوارب الموت لا يعلم مصيره إلى أين سينتهي به، فهدوء البحر وسكونه لا يعني أنه لا يملك وجها آخر قد يكشف عنه في أي لحظة في قوله: "... فراغ مهول كنت أغرق، لا أمتلك أي فكرة عن كيفية انقلاب المركب فآخر ما أذكره أن البحر كان هادئا يداعب مركبنا بأمواج وديعة"[4].

-المفارقات الزمانية في رواية "رحلة قريش" الخائف:

يعد الزمن العمود الفقري الذي يشد العناصر الفنية المكونة للرواية وهذا ما يؤكده جينيت جيرار Gérard Genette (1930. 1918) حيث يقول أنه من الجائز أنه نروي قصة دون تحديد المكان الذي تدور فيه الأحداث، بينما يكاد يكون مستميلا لإهمال العنصر الزمني الذي ينتظم السرد، ذلك أنه لا بد أن نحكي القصة في زمن معين: ماض أو حاضر أو مستقبل (....) ومن هنا تأتي أهمية التحديدات الزمنية بالنسبة لمقتضيات السرد"[5].

إن قيمة اليوم تختلف من إنسان لآخر، فبالرغم من أننا لا نستطيع الإمساك بالزمن إلا أننا نحس به وبوجوده، فهو لا يغادرنا ولو لثانية واحدة، فهو يعايشنا ويترك آثاره علينا، فقد تتجلى في ملامح الوجه من تجاعيد الوجه أو شيب الشعر، أو التعب، أو حتى الظروف التي نعيشها من سعادة وفرح أو حزن.

---

[1] الرواية، ص9.

[2] الرواية، ص11.

[3] الرواية، ص36.

[4] الرواية، ص66.

[5] نقلا عن: منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص295.

واستنادا على هذا فإننا سننطلق في دراستنا للمفارقة الزمنية وفق ما اقترحه "جيرار جينيت" حيث عقد مقارنة بين ترتيب الأحداث في الخطاب وترتيبها في النص"[1]، وهذا ما سيدفعنا إلى الاشتغال على أهم المفارقات الزمنية الموجودة في رواية "الخائف" الروائي الجزائري "ادريس خليفة".

1-الاسترجاع أو السرد الاستذكاري: " " وهو الذي يتمثل في ايراد حدث سبق النقطة الزمنية للحكاية التي بلغها السرد، أي ما يذكر بعد وقوعه"[2]. فهو "يعني استعادة أحداث سابقة للخطة"[3].

وينقسم الاسترجاع إلى نوعان: استرجاع داخلي واسترجاع خارجي.

أ-الاسترجاع الداخلي:

وهو الذي يستعيد أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية، أي بعد بدايتها وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي، هذا النوع من الاسترجاع يعتمد فيه الراوي على الذاكرة باعتباره من أهم التقنيات الأساسية في تقديم الأحداث وتتابعها في السرد، ومن بين المقاطع التي وظفها الراوي نجد في قوله: "قبل يومين في محطة القطار رأيت إيمان مع زوجها، الابتسامة المرسومة على وجهها الفرحة البادية على عينيها... تذكرت العشاء مع حياة وعيون ملاك التي تشبه تماما المحيط الذي أشق طريقي فيه الآن..."[4] يذكر الكاتب هنا ذكرياته التي ضلت تلاحقه في قاع البحر، والمغامرات التي كان يعيشها مع حياة وملاك. وحبيبته ايمان التي تخلت عنه.

فكلما كانت ذكريات الراوي هي المنقذ له في كل مرة، فهي التي تعيده إلى الحياة، حسين سيسترجع أجمل أيام حياته، فتلك اللحظات بالرغم من بساطتها إلا أنها في يوم ما ستصبح ثمينة، وهذا ما توضحه عبارة. "كنت منهكا غير قادر على فتح عيني ذلك الصوت غبر السنين، كحجر يتزكي وقعت في زاوية قرب الغرفة التي جمعتني وأبي قبل أيام، رأيت نفسي أشغل المذياع نستمع سويا إلى نفس الأغنية"[5].

كما أن الهروب من المسؤولية كان الحل دائما لجميع المشاكل التي كانت تعترض الطريق فالإنسان عنما يعجز عن المواجهة يحاول أن يغطي عجزه هذا بالتهرب واللامبالاة، فالكاتب هنا بين لنا

---

[1] المرجع نفسه ، ص197.

[2] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا. المرجع نفسه، ص

[3] نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص196.

[4] الرواية، ص66.

[5] الرواية، ص68-69.

أن الحياة لا تبنى على الحب ووحدة الدين فقط بل يجب أن يكون هناك توافق في الطباع والسلوكات في قول الكاتب: "حدث يوما أن أتتني "حياة" والسعادة تفيض من عينها ....لتزف الي خبر حملها، ولأني مسلم وهي مسيحية ولم نكن متزوجين طلبت منها إسقاط الطفل.... وفعلا أسلمت عن قناعة... فقط لا تظفر بذات الدين صديقتي المتدنية وحدها لا تكفي، بل أظفر بذات الذين الجميلة التي تتوافق طباعكما"[1].

ب-الاسترجاع الخارجي:

هو ذلك الاسترجاع الذي يستعيد أحداثا تعود إلى ما قبل بداية الحكاية وهو ذلك النوع من الاسترجاعات الذي يعالج أحداثا تنتظم في سلسلة سردية تبدأ وتنتهي قبل نقطة البداية المفترضة للحكاية الأولى ويرى جيرار جينيت أن وظيفة هذا النوع هو: "إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك".

نجد هذا النوع من الاسترجاعات في قوله: " فأصطدم ببشاعة الذكريات الجائزة، فأرى من جديد الساحة التي لطالما جمعتني بأخي وأوجدني أعيش مجازر الماضي التي سفكت أرواح الشباب وطني، يعتصر قلبي ألما كلما زرت الأماكن الملعونة المتروكة للمشردين، تلك الشوار والزوايا التي كانت شاهدة على ميلاد ثورة من المفترض أنها مجيدة، ها هي اليوم تتنكر لنا وكأننا غرباء لم نسر يوما على دروبها..."[2] ، تحمل هذه الفقرة عبارات تحمل عدة معاني، فهنا يتحدث عن ما مر به الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار أثناء الثورة المباركة، وما مرت به في العشرية السوداء، ومجازر 8 ماي 1945 ، والتضحيات التي ضحى بها خيرة ما أنجبت الجزائر، شباب ضحى بنفسه وبروحه من أجل أن تبقى الجزائر حرة مستقلة لا أن تبقى تحت وطأة مستعمر آخر والنفوذ، فكل تلك التضحيات كانت من أجل غد أفضل لا من أجل أن يركب شباب في عمر الزهور قوارب الموت لا يعلم من يركبها إن كانت طريقا للبداية أن نهاية سوداء يجل أصحابها في خانة المفقودين.

كما وظف الكاتب بعض العبارات التي كانت تحمل معنى الاسترجاع في قوله: "أقف على آخر عتبات العشرين من العمر تخرجت منذ سنوات "صيدلي" هكذا كان الجميع يناديني .... ظننت أن الحياة

[1] الرواية، ص69-70.

[2] الرواية، ص17.

ابتسمت لي أخيرا حين حملت شهادتي... لأقابل عبوس الدنيا كأن إنجازي لم يكن غير نقمة ستلاحقني لتسلبني ما بقي من سعادة.... لا فائدة من تحصيل الشهادات إن لم تكن تمتلك معارف".[1]

هنا بين الكاتب بكل وضوح أحد المشاكل التي يعاني منها الشعب الجزائري فليس كل من يحمل شهادته يملك عمل في المستقبل، قد تمر أشهر أو حتى سنوات وأنت تبحث عن عمل ولن تجده في بلد القوي فيه يأكل الضعيف، فالشهادة وحدها لا تكفي للوصول إلى المبتغى وإنما يتطلب عليك أن تكون ذو شخصيته معروفة أو أن تتنجد بمعارفك للحصول على عمل أو وظيفة ففي هذا البلد لا يملك الصيدلي أو الطبيب أي قيمة مستشهدا بأحداث واقعية في قوله: " ألم تسمع بما حدث مؤخرا للأطباء المقيمين؟

-هل بلغك مصاب "أصيل" الشاب الجزائري ابن ولاية برج بوعريريج الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين؟"[2] فما حاجة قادة الدولة بأطباء وصيادلة وهم يتلقون علاجهم من أمهم غير الشرعية فرنسا.

كما استرجع الكاتب ذكرياته مع "إيمان" حين روت له ما حصل في مدة غيابه قائلا" "كنت أدرك سابقا أن سمو الملك سيترشح لعهدة خامسة".[3]

وهنا أيضا تصوير لوقائع حدثت بالفعل وتجسيد لغياب الديمقراطية، والحرية في التعبير والمطالبة بالتغيير، فكل تلك السنوات التي مرت والتي تمثل عشرين سنة من الحكم البوتفليقي الذي قررت الترشح لعهدة جديدة استفزت الشعب وجعلته ينتفض، بعد بلوغه أقصى درجات الصبر وهذا ما نجده في المقطع التالي: "لعل ما زاد الطين بلة واستفز الشعب هو اقدام الرئيس بوتفليقة على الترشح لعهدة خامسة ...لقد بلغ مرحلة العجز وأضحى مجرد دمية يستغله أفاعي السياسة..."[4]

فاستغلال السلطة لصمت الشعب هو الذي أدى إلى أن يضع شاب في مقتبل العمر حدا لحياته وينتحر، أو مجموعة شباب تركت ورائها عائلات تبكي بحرقة على فراقهم فلم تبق إلا فئة قليلة بقيت صامدة تطالب بالتغيير في قول الراوي: " حل اليوم المبارك، الثاني والعشرون من فيفري خرج الشعب وبصرخة واحدة صاحوا: لا بديل عن التغيير"، "سلمية ...سلمية"[5]، هنا صور لنا الكاتب تصويرا حيا الفطنة الشعب ومدى إصراره على التغيير.

---

[1] الرواية، ص38-39.

[2] الرواية، ص39.

[3] الرواية، ص110.

[4] الرواية، ص135.

[5] الرواية، ص135.

كما استذكر الكاتب المسيرات التي حدثت في مختلف ربوع الوطن في قوله: "توالت الاحتياجات وأنظم إلنا النخبة والفئات الفاعلة كالمحامين والقضاة، الأساتذة والأطباء وحتى الصحفيون والممثلون وكل شرائح المجتمع". وفي قوله: "أما الطلبة فقد خرجوا أول مرة يوم الثلاثاء، بعدها نظموا مسيرة يوم الأحد، حتى أضحت مسيراتهم مزعجة ومقلقة فقرر وزير التعليم العالي، "طاهر حجار"...إغلاق الجامعات"[1].

واقعية هذه الأحداث تجعل من الرواية أكثر صدقا ومنطقية، فالقارئ لهذه الرواية يجد نفسه يعيش بين سطورها وكلماتها، فهي تمثل الشريحة العظمى من المجتمع.

استرجع الكاتب أيضا كيف انتصر الشعب بعد مطالبته بإلغاء الترشح لعهدة الخامسة في قوله: "في النهاية انتصر الشعب أعلن عبد العزيز بوتفليقة انسحابه من الانتخابات الرئاسية وأعلن تأجيلها على أمل أن تظهر وجوه جديدة تترشح للرئاسة"[2].

2-الاستباق أو ما يسمى بالاستشراف:

بشكل عام هو ما سيحدث قبل وقوعه، أو السرد السابق لأوانه فهو يقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد: أو "هو عملية سردية تقتضي أن يروي الراوي حدثا لاحقا لم يحصل بعد"[3].

فهو بمثابة ظاهرة التنبؤ بالأحداث التي ستقع كونه يعتمد على تقديم الأحداث اللاحقة قبل وقوعها ومن بين أبرز عبارات الاشتياق نجد الرسالة التي تركها بطل الرواية والتي تقول: "أماه الآن وأنت تمسكين بهاته الورقة الرثة، تكونين قد أدركت أنني لست متواجد في الغرفة... خرجت الليلة الماضية خلست على أطراف أصابعي حاملا زادي متوكلا على الخالق الواحد...كل ما في الأمر أني سأحرق أوراق هويتي حتى إن عثروا علي جهلوا من أين أتيت"[4].

فالراوي هنا تجاوز الحاضر وأطلق العنان ليستشرف المستقبل ما سيحدث بعد أن نجد أمه هذه الرسالة كذلك نجده يقول في عبارة: "وتعلمين يا مصدر الحنان أني في البحر قد أكون طعما للأسماك،

[1] الرواية، ص137.

[2] الرواية، ص138.

[3] منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا، ص297.

[4] الرواية، ص10-11.

إنه البحر أماه...."[1] ، هنا يبين لنا الكاتب أنه متشائم من رحلته هذه التي بدلا من أن تكون منقذا له قد تكون نهاية مأسوية في قاع البحر.

وقوله أيضا: "أخبري ابنتي التي لم ولن تولد بأنها روحي وحبيبتي وإن سألت عني قولي لها أني أنظر إليها من السماء"[2]، هنا يوضح لنا الكاتب أنه غير متفاءل من هذه الرحلة وأنه لن يعيش عمرا طويلا ليصبح لديه أبناء يخبرهم بمدى حبه لهم، فقساوة الحياة فرضت عليه أن يترك كل شيء وراءه ويركب أمواج البحر لا يبالي بما يحل به في المستقبل نجد هذا أيضا في عبارة، "سيكتب الطبيب الشرعي في تقريره ماتوا جوعا وعطش وأحدهم غرق بينما ستكون الصحافة أكثروا واقعية" قارب الأحلام يتحول إلى تابوت في عرض البحر". هذا إن وجدونا أصلا"[3].

كما وظف الكاتب عبارات استشراف أخرى منها: "أنا متأكد أننا لم نغادر المياه الإقليمية بالأرض التي تسمي نفسها القوة الإقليمية".[4]

كما ورد في سياق حكائي آخر: "أضنها أرادت أن تمحو كل ذكرى بيننا ربما كانت تطمح لأن يكون الألم الذي تخلفه كلماتها سيجعلني أتألم لكنه ألم لن يدوم طويلا...".[5]

3-تجليات الذات الساردة في رواية "الخائف" :

-صورة الذات في المتن الروائي:

أ-الذات المتمردة والنقمة المعلنة:

تتجلى في رواية الخائف صورا مختلفة عن الذات الكاتبة والساردة، وتتلون حسب المقامات وتداعيات الذكرى المستعادة، وقد تستدعيها شروط الحدث تنطلق الشرارة الأولى للنقمة والتمرد لدى الذات في سياق أحداث لها مرجعيتها التاريخية والموضوعية، لعل أولها انخراط الساردون قصد في تصوير مشهد يتكرر في حياته "...وبعد كل ليلة كان الأرق رفيقي فيها يدعوني لمشاكسة النوم وتلميع زجاج نافذتي حتى أتمكن من رؤية صورتي تنعكس عليه، صورة الطفل المخذول الذي لم تنصفه الأيام ورقصت

[1] الرواية، ص11-12.
[2] الرواية، ص12.
[3] الرواية، ص77.
[4] الرواية، ص75.
[5] الرواية، ص21.

الحياة على إيقاع آلامه غير المضبوطة رغم كونه لحنا غير صالح للرقص"[1]، وفي فترة من العمر التي يفترض أن تقبل فيها الذات على الحياة والأمل نراها تواجه بشاعة الحياة عليها ونراها تختزن في ذاكرتها مشاعرا يشوبها الغضب والنقمة، لم يكن الواقع المزري الذي تعيشه الفئة المهمشة ناتجا عن استغلال وظلم السلطة ماديا واجتماعيا فقط بل كان دمارا نفسيا، لذا ستواجهها الذات العاجزة عن الرد الفعل بضروب من العنف اللغوي مضمنة في حوارات منقولة "...حتى تاريخها وجبروتها لم يحمياها من داء أصيبت به داء البوتف..." ، "الاستقلال الذي لم يكن سوى تمثيلية فرنسية" ،"فقدت مكاني في هذا الوطن العزيز"، "لأن الفقر في وطني أضحى عيبا" ، " حكومة متعطشة للسلطة صنعت فراعة تدعى الإرهاب وانتحلت شخصية دينية لتقتل باسمها" لم ترتبط النقمة بذكرى مستعمر بل تجاوزته إلى سلطة تغذى أطماعه على حساب الشعب.

لقد بدا الشعور بالظلم والغبن في مرحلة أولى من النص موصولا بالانتماء الطبقي والوضع الاجتماعي، وهو شعور تقاسمته الذات مع الآخرين، وهذا ما نجده في المقطع التالي: " بعد ليلة طويلة قضيتها أتسكع في أزقة المدينة المنسية حيث ينهمش الفقر عظام الأبرياء ويجبرهم على تفقد أكياس القمامة لعلهم يجدون ما يسد فراع بطونهم"[2]، "...فتاة صغيرة غفت على ذكرى لقمة خبز تناولتها منذ يومين، يجلس طفل في السادسة من العمر أمام موقد لينعم بدفء متسرب على جبين الأرض لتراضيه حين عجز والده استبدال فراشه المبلول، وعروس جديدة تتوغل في حضن زوجها لتنعم بدفء متناسية ضجيج قلبها الباكي تغض النظر عن الذكريات التي تسردها عيناها. لهيب نار موقدة يعلو في برميل حديدي تجمع حوله من لا سقف لهم يمدون أيديهم بين ألسنتها. لم أنتمي إلى هذا المكان يوما لكني أشاركهم الهموم كلما مررت عبر الأزقة الضيقة"[3].

وإن كانت مقدمة النص قد نفذت رغبة الذات الساردة في الانتقام والتشفي وتدثرت بقناع الشهادة وامتلاك الحقيقة فإن استعادة الواقع بأحداثه وحالاته ومرجعياته التاريخية قد انتهت إلى تأكيد النزوع إلى الانتقام والتمرد عبر تحطيم صورة السلطة وتدنيسها، وبدت الحاجة إلى كشف الحقيقة وتبرئة الذات لتغدو الشهادة عبر الكتابة الذاتية ثورة يعصف بالألاعيب التي تفشيها السلطة بين أفراد الشعب لتتمسك بزمام حياته "في النهاية انتصر الشعب أعلن عبد العزيز بوتفليقة انسحابه.... صحيح أن العهدة الخامسة

[1] الرواية، ص16.

[2] الرواية، ص14.

[3] الرواية، ص13، 14.

سقطت لكن المعركة مستمرة..."[1] وفي هذا المقطع من نهاية النص نجد بأن انتفاضة الشعب حين تحمل مسؤولية التغيير بأنها تبدأ منه أنار بصيص أمل للحياة مجددا بالرغم من أن معركته ستظل مستمرة ليصل إلى تحقيق الاستقرار.

ب-الذات الجريحة بين القناع وحميمية البوح:

تتبدى في رواية "الخائف" ملامح ذات جريحة تعاني أوجاع الجسد وأوجاع الروح، وهي لئن صرحت في بعض المناسبات القليلة بضعفها وآلامها فإنها غالبا ما تعتمد إلى مواجهة الألم والحزن بكثير من التعالي والتهرب والتخفي وراء أقنعة شفافة ".... تهرأ جسدي بل إني أشعر كأنه يتحلل بمرور الزمن فكل وهلة تمر وكل لحظة تنقضي تأخذ معها جزء لا يتجزأ من كياني..."[2] يختزل السارد مصاعب حياته بأنها صفعات عميقة على ذاته.

وتتمثل الوقائع المتصلة بفضاء المدينة القادح عنصرا أساسيا لوصف آلام الذات ورسم أوجاعها الجسدية والنفسية قبل إعلان التمرد على الألم "أننا يا صديقي لا نهرب من الوطن، نهرب من أنفسنا التي تنعكس فقط على وجه تلك الأرض من خيباتنا المكتومة تحت ترابها ومن الأمكنة التي سقطنا فيها ومكتنا فيها حتى تعفن الأمل"[3].

ولعل أوجاع الروح أرسخ في الذاكرة من أوجاع الجسد وأشد ايلاما وقسوة في تصوير ذات جريحة من الحب، ".... فكنت شابا له صراعات أخرى فلا الوطن كان يهمني ولا الأسعار المرتفعة، شاب هائم في الشوارع جعل من قلب امرأة وطنا له وخسره"[4]، وهنا يلقى السارد بعض المشاعر الحزينة لخسارته حبا ثمينا بالنسبة له.

فالذات النزاعة إلى إعلان صمودها تعمد غالبا إلى تمالك أوجاعها والتعالي عليها، فيتحول الصديق أحيانا كثيرة ضربا ممن التمويه ومغالطة الذات وضربا من التحريف المتعمد، فالحاجة إلى الحب مثلا هي حاجة نفسية إنسانية تنحصر في قول السارد:

- ✓ ...سأتزوج لأنك خذلتني، نعم خذلتني بحجم المجرة بعدد نجومها وخلفت جرحا في قلبي كثقب أسود يمتص سعادتي....

[1] الرواية، ص138.
[2] الرواية، ص35.
[3] الرواية، ص13.
[4] الرواية، ص18.

- ✓ نعم من دون شك أذكر كل تضحياتك ولا يمكنني حتى أن أتناساها ربما أكون قد خذلتك حقا لكن أعلمي أني خذلت نفسي قبلك.[1]

نجد من خلال هذا المقطع أن الذات تصل إلى مستوى شاعري حيث تخفي ألمها وراء قناع الخذلان، لا تريد البوح بحقيقة أنها خذلت الآخر وتختلى بنفسها وراء قناع النبات على أن تكون جاهزة للمواجهة.

ج-الذات النرجسية:

تعرف الشخصية النرجسية عامة بنمط شامل من السلوكيات تتمثل عموما في الإحساس بالعظمة وحب الذات والشعور بأهميتها، والرغبة في انتزاع الاعجاب بالافتقار إلى التمثل الوجداني، إن النرجسية في سياق هذا البحث لا تخيل بالضرورة على اضطرابات الشخصية بقدر ما تحيل على ما تعكسه مزايا السيرة الذاتية حين تنظر الذات في مرآتها لترى فيها صورتها المشعة ، ثم لتحكى ما "كانت أو ستكون استثنائية"[2]، ذلك أن السرد في السيرة الذاتية (لا يجب أن يكون سلسلة من الأحداث عبر الزمن مبنية بشكل شاما ينبغي أيضا أن يحتوي شيئا يهبه استثنائية).[3]

ويمكن تبين هذا البعد الاستثنائي في سيرة الشخصية البطلة الذاتية لا في مستوى الأحداث والوقائع المستعادة من الذاكرة، وإنما في مستوى الذات الساردة والمتلفظة وهي تروى آلامها وعذاباتها تتحول معها التجربة المعاشة إلى رصيد من المعرفة يثرى الرؤية ويسهم في قراءة الذات.

وترتبط بالذات النرجسية مجموعة من القيم والمواقف منها الاعتزاز بالذات، وهي قيمة تبرز بوضوح منذ بداية حديث السارد عن حياته وتجاربه الخاصة باعتبارها محطات لبناء كيانه، كما تتجسد في محطات أخرى صدمات الذات مع تجربة الحرقة والسجن وبوصوله للضفة المقابلة حيث بدا الاعتداد شرطا للبقاء إزاء كل العوائق: (أنا ذلك الوفي الذي ترك كل ذكرياته وحيدة على الشاطئ تداعب الأمواج وتراقبه يبتعد في قارب يعانق آماله التي حلت محلها ، أنا)[4]، وبذلك تتضخم صورة الذات الواقعية في السيرة الذاتية لتتشكل أخرى أسطورية خارقة قادرة على تجاوز شرطها الإنساني والتسامي عليه بل تكاد تغدوا رمزا: (...عرفت لاحقا أن السفينة الأولى التي بقى السيد على متنها قد كانت مهجورة يسكنها الجن

---

[1] الرواية، ص21.

[2] منية فارة بيبان، صورة الذات في مرايا السرد، ص131.

[3] جيروم برونر، صناعة الذات وصناعة العالم، تر مجلة فصول، ع87، 88، 2014.ص100

[4] الرواية، ص35.

وقد نجوت منها لأن الظلام الذي يسكنني كان أعمق من أن تبلغه العفاريت وأحلك من أن تنيره الشياطين).[1]

د-الذات الملتزمة والايديولوجيا العائمة:

يبدو مفهوم الإلتزام ظاهريا متعارضا ما تقتضيه سرديات السيرة الذاتية من تركيز على التحولات التي تعيشها الذات الساردة أو تلك التي تحدد مسار الحياة وتضفى عليها طابعا استثنائيا، غير أن الإلتزام في السيرة الذاتية وفي نظر بعض الدارسين هو بالتحديد ما يبرر الحكى.[2] وهو: (الذي يقدم المحرك إن جاز التعبير للسمة البلاغية للسيرة الذاتية)[3]. فما يبرر الحكي في خطاب السيرة هو (الالتزام بمجموعة معينة من المسلمات بشأن الذات وعلاقة المرء بالآخرين ورؤية العالم وموضعه فيه)[4]، ويمكن تبيان مظاهر هذا الالتزام في رواية الخائف ورصدها عبر استقراء مجالات حضورها في الخطاب السير ذاتي (...فقدت مكاني في هذا الوطن العزيز...ولأن الفقر أضحى عيبا وعائقا لظفر بأي منصب عمل...مثلى مثل شباب الوطن قد ملت حيطان الحي من اتكائنا عليها... تحدثنا عن الهجرة السرية التي يلجأ إليها كل من بنفسه ذرة عزة لم يرد تضييعها...فدقيقة ركوبي المركب تجعلني مجرما والوطن الذي غادرته مسرح جريمة لا أود أن أعود إليه)[5].

وقد بدت الذات حافزا لتطور حركة السرد عبر تبيان الحبكة الأصل في المتن الروائي ولعل أهم ما يبرزها هو الايمان بقيمة الحرية والهروب من وطن ينهش أحلاما هدفها التحرر.

غير أن الذات لا يمكن أن تكون معزولة عن مجتمعها ومحيطها وبالتالي علاقتها بالأخرين ستتحدد عبر مجموعة من المعايير والمعتقدات التي قد تتخذ طابعا أيديولوجيا، وتتشكل الذات الساردة في موقع المدافع عن قيم الحرية والعدل والمواطنة وهذا ما يمنحها القدرة على الثبات وتحملها المسؤولية (حين خضت الرحلة الأولى مرة لم يكن على القارب غيري والسيد والقائد، أما المرافقون الذين اختلفوا فجأة لم يكونوا غير أشباح رسمتهم في ذهني، فالظاهر أنه قبل أن أركب المركب كنت قد حملت في داخلي همومي وهموم شباب كنت عرفتهم)[6]، يحيل هذا المقطع على أن الذات الساردة تتشارك مع الآخرين في

[1] الرواية، ص106.

[2] منية قارة بيبان، صورة الذات في مرايا السرد، ص135.

[3] جيروم، برونز، صناعة الذات وصناعة العالم، ص100

[4] جورج ماي، السيرة الذاتية، ص68.

[5] الرواية، ص10، 11.

[6] الرواية، ص106.

همومهم وتعيش على وقع تجاربهم فهي بهذا تحيل إلى خطاب يحتكم إلى التحالف مع الآخر والاشتراك معه في نفس النضال من أجل تحقيق العدالة ضد الجرائم التي تمارس في حق الأفراد.

-الذات المغتربة وأوجاع الانتماء:

حين تشتد وطأة المنفى الداخلي وتعاني الذات ثقل أوجاعها وقتامة وجودها وهي تتأمل حصارها النفسي داخل الوطن قد لا يكون الرحيل منه ممكنا وكسر جدار العزلة يسير إلا بإعادة بناء الذات المتشظية المنكسرة وخلق فضاء آخر تستعيد فيه بعض انسانيتها[1]، فبين حلم الهروب يوجه خطى الشخصية البطلة ويقودها إلى المجهول، وقد غاب الأمان في حياتها، وفي طريق لا يعرف منتهاها، الفردوس المفقود الذي بدأت مغامرة الوصول إليه منذ انطلاقة القارب في وسط بحر مجهول، وهي مغامرة البحث عن جزء من الذات، جزء من الحلم المدنس في الوطن لذا فالرواية ستكون رحلة مادية وراء الذات وليس هذا وحسب بل رحلة البحث عن الذات المسلوبة.

يتردد شعور عدم الانتماء والغربة عن الآخر في اعترافات الشخصية البطلة في قولها: " أوروبا مختلفة تماما عما رسمته في ذهني، ليست جنة الأرض كما أنها ليست أجمل من وطني، أما نملك الحجج التي هاجرت من أجلها والأحلام التي أردت تحقيقها في ضفة الكرامة والحرية حيث يقيم المرء بما يقدر على إعطائه فقد كانت حججا واهية"[2] ويقول أيضا: " والحرية الأوروبية لم تتعد الحرية الجسدية إذ يمكن للمرء أن يتشارك الفراش مع امرأة متزوجة دون الخوف من اكتشاف امره أو الخوف من زوجها، يمكن للرجل أن يجهر كونه من الجنس الثالث ويطالب بالزواج من رجل آخر دون أن يخاف من أن يرمى به السجن أو يرجم حتى الموت"[3]، ونجد في هذين المقطعين مواجهة الذات المغتربة لحقيقة الضفة المقابلة التي كانت في تصورها الجنة، حيث غدت طرحاتها وشعورها بالضياع بين انتماء مفقود وهوية ملتبسة فهي في مواجهة بين ماضي ضبابي ومستقبل داكن، حيث لا تتعرف على صورتها بين صدام داخلي وآخر خارجي. تتكثف الغربة والعزلة وتنمو تصاعديا لتتشكل رغبة في محاسبة الغير في لحظات غضب واختناق ونجد في المقطع التالي قول: " فيما يخص الكرامة فوجدت أغلب من سبقني يمتهون مهنا رفضوها في بلدانهم الشباب الذي خاطر بحياته من أجل الحصول على عمل بشهادته يعملون اليوم في المقاهي والحانات، يمسحون الأحذية على الرصيف ويحملون البضائع في الميناء وكل هذا مرفوق

[1] منية قارة بيبان، صورة الذات في مرايا السرد ص113.

[2] الرواية، ص99.

[3] الرواية، ص100.

بعبارات عنصرية وشتائم من النوع الذي نكون مستعدين للقتل من أجلها في بلدنا"[1]، وفي هذا المقطع نجد بأنه يعكس صوت الذات التي لم تعد سوى مرآة تعكس بشاعة أوروبا وقبحها وكأنها تؤكد بأن الضفة المقابلة ما هي إلا الجحيم.

ونجد بأن الذات قد تفاجئت بحقيقة الصورة الزاهية التي رسمتها في مخيلتها ليتضح لها في الأخير بأن اعتقادها كان محض وهم ومجرد صورة داكنة ومظلمة عكس كل توقعاتها ونجد في المقطع السردي قول: ".....بعضهم وجد الخلاص في بيع المخدرات لكنهم يرضون بهذا في سبيل البقاء هنا ليس حبا في عملهم وإنما فقط من أجل إكمال ساعات العمل وتغيير ملابسهم ثم التقاط الصور في الشوارع المضاءة والنظيفة ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، لا يدركون أن تلك الصور كانت بمثابة طعم جذبنا إلى أوروبا لأننا من خلال صورهم وأحاديثهم التي أخفت حقيقة ما يمرون به قد صورنا لضفة الشمالية كطوق نجاة لأحلامنا"[2]. ومن خلال هذا يتضح بأن الذات توحى إلى تشظيها وصدمتها من اغترابها فلا الوطن ربيع ولا الغربة وديعا، فالأمل الذي بنته كان قد انكسر برؤيتها للحقيقة فالعالم مليء بسراب من الظلال لا يكشف عن وجهه الحقيق إلا لحظة التصادم معه ليخلق تشوهات وانكسارات لصورته المثالية المرسومة في الذاكرة وهنا تتجلى علاقة الرفض بين الذات والآخر.

فالروائي وهو يقدم صورة الآخر نجده يرسم مقارنة بين الهوية العربية والهوية الغربية في المقطع التالي: "إن الفرق بين العرب والغرب قد تجاوز النقطة التي اغتلت عيننا فغربتهم، وإنما يمكن الاختلاف في أننا نحن العرب نحارب بعضنا ونتسابق لكشف عيوبنا للعالم أجمع ونتسارع لنشر فضائح جيراننا وأصحابنا وحتى من يشاركونا نفس السقف كما أننا نخفى أحقادنا، أما الغرب فقد تجاوز خلافاته وستر كل واحد منهم الآخر ليس حبا فيه وإنما لنا واهتموا بما ينهض بهم بين الأمم"[3]، ونجد من خلال هذا المقطع صراع الذات مع الوجه الحقيقي للعرب والوجه الخفي للغرب فحقيقية أن الآخر (الغرب) نموذج للكمال بتعزيزه لأفراده على المضي قدما والنهوض بالقيم الإنسانية في مقابل يغرق العرب بالحلافات والعلاقات المتوترة ويجعلون منها حيزا كبيرا في تعاملاتهم غافلين على أنهم وقعوا على هامش متبذل مرتكز على قيم متخلفة صادرها الغرب لهم ليغرقوا في معامع جهلهم ليكون النهوض من حق الآخر فقط.

[1] الرواية، ص100.

[2] الرواية، ص100.

[3] الرواية، ص101.

-نجوى الذات:

إن السيرة الذاتية هي عبارة عن عملية تأريخ يقوم بها شخص واقعي لوجوده الخاص انطلاقا من حياته الشخصية أي يجب "الحرص على الدقة التاريخية في تصوير الحقائق والوقائع"[1]، ولكن هذه السيرة لا يمكن أن تتوافق مع مصطلح الرواية لأن السيرة الذاتية ذات مرجعية تاريخية، والرواية ذات مرجعية تخيلية، وهذا ما مهد لظهور نوع آخر هو (رواية السيرة الذاتية) ، ورواية الخائف تدخل ضمن هذا النوع الروائي، وقد افتتح المؤلف نص روايته برسالة بقول فيها: " أماه الآن وأنت تمسكين بهاته الورقة الرثة تكونين قد أدركت أني لست متواجدا في الغرفة التي نادرا ما غادرتها، لعلك في الوهلة الأولى حسبتها مجرد لفافة ورق، غير أني راهنت على غريزة الأمومة لديك آملا أن تقودك لفتحتها وقراءة محتواها"[2]، نلاحظ بأن هذا المقطع يحيل بأن البطل سيتحدث عن تجربته الذاتية فلفظة نادرا ما غادرتها يعني أنه كان سجين لغرفته سابقا وتحمل معاناة أثقلت كاهله وهذا يؤكد على أن الرواية تقوم على تسجيل واستعادة ما جرى في حياة الشخصية البطلة استطاعت الشخصية البطلة أن تسترجع بعض الذكريات المختزنة في الذاكرة في قولها، "....في الأعماق وبينما كنت أغوص مستعد القبول صفقة الموت رأيت أخي، لم يتغير كثيرا إذ لا يزال بهي الوجه وكأنه ملاك خاشع في صلاته، أخي الذي بادرني وأنا لم أتجاوز السادسة من عمري إثر إعتداء إرهابي جبان يقف الآن أمامي بينما أغوص أكثر وأكثر صوب قاع البحر المظلم"[3]، فالذكريات والخيالات والصور والرموز التي كانت مختزنة في وعي الشخصية البطلة ولا وعيها أتت متزاحمة إلى مخيلتها فالمعاناة كانت سببا في عملية التذكر فكل تلك الذكريات من الماضي الأليم بمجرد وقوعنا في عائق الوجع تأتي لتخنقنا بها الذاكرة وهذا ما جعل الرواية تخرج من دائرة التوثيق إلى دائرة الذاكرة وهنا نجد بأن الكاتب لجأ إلى الخيال لإنتاج ماضي شخصي في صورة تسعى إلى إعادة تشكيل تجربة حياتية معينة.

-رؤيا الذات ومركزية الخطاب:

بينت بعض الدراسات المهتمة بالرواية السير ذاتية أن الشخوص في هذا النوع من الكتابة بتعددها إنما تكتشف وجوه الذات وتلوناتها عبر تحولها من الأنا السطحية إلى الأنا العميقة، غير أن هذه الشخوص قد تكون أحيانا مجرد قناع يحرر جزءا من الذات المحاصرة بالهموم وهو ما يقتضي البحث في

[1] عمر بن قنة، الأدب العربي الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1999، ص183.

[2] الرواية، ص10.

[3] الرواية، ص67.

بعض مقاصد هذه الكتابة المتمحورة حول الذات خاصة منها المقاصد النفسية أي تلك المتصلة بالتأمل في الذات وفي العالم.[1]

ونجد من خلال نص رواية الخائف تصريح عن الرغبة في محاكمة وإدانة الآخر وهذا ما تعلن عنه منذ قراءة عتبتها الأولى وتتبدى رغبة مبثوتة في ثنايا النص في خطاب فاضح ومدين لأساليب القمع والاستغلال والجشع والظلم والتاريخ المكذوب الذي تمارسهم السلطة تجاه الشعب على لسان شخصيات مثلث حضورها في الرواية إلى جانب الشخصية الرئيسية، وبذلك تكون الكتابة الذاتية معبر للذات ووسيلة للإنتقام من ساهم في التسبب لها بالمعاناة والاضطهاد. والذات هنا لا تكتفي بتصوير نفسها بل تمتد الرؤية إلى العالم الذي يحيط بها فتنفتح على هموم الآخر والجماعة، لذا نجد أن بعض المقاطع في الرواية تتحول إلى خطاب أيديولوجي محمل بشحنات من آلام وأوجاع، وذاكرة السارد تنفتح على التاريخ العام وعلى هموم الجماعة فهي لا تلجأ لتحاورها بل لتنقلها وتؤكدها.

لم يكن من الممكن أن نقولها جهرا في دولة تتعمد سياسة التخويف، فأي معارض لقرارات الحكومة أو سياستها غير الرشيدة يعتبر تهديدا لاستقرار الوطن ويتهم بكونه يدا خارجية تعمل لصالح العرب"[2].

" من الغريب أن نصاب بابتهاج لمغادرتنا أوطاننا لكن لنكمن واقعين إن القارة السمراء وشمسها الحارقة تكن لنا البغضاء لقد سلطت علينا حكام ظالمون .... قد نكون تركنا الوطن خلفنا غير أننا لم نتركه وحيدا، فقد تركنا أيضا الفقر والظلم خلف ظهورنا"[3]

".... نظام غاشم يمارس الظلم في حق من انتخبه بل وجه مثقفيه وأعلى شرائح المجتمع تحصيلا للعلم"[4]

"حدث أني استفقت ورأيت الواقع بعين محايدة، الوضع هنا يزداد سوءا سقف الحرية ينخفض كل مرة، في السابق كنت أكتب لأغير، كان أملا ضئيلا بالكاد يمكن ملاحظته لكنه اختفى"[5].

[1] منية قارة بيبان، صورة الذات في مرايا السرد، دار آفاق برسيكتيف للنشر، تونس، ط1، 2019، ص120.

[2] الرواية، ص26.

[3] الرواية، ص38.

[4] الرواية، ص39.

[5] الرواية، ص133.

ومن خلال هذه المقاطع نجد إشارة صريحة إلى الخلاف السياسي بين السلطة والشعب، فالذات الكاتبة تراهن على وقائع مزرية من سياق القهر والمعاناة التي يعيشها المجتمع، فكانت الرواية شهادة على أحداث حقيقية ملتبسة قامت بإعادة إحياءها مثال ذلك قوله: "لست طارق بن زياد الذي أحرق سفن جنوده رغم كونها رواية من التاريخ المكذوب"[1].

"تلك الشوارع والزوايا التي كانت شاهدة على ميلاد بورة من المفروض أنها مجيدة ها هي اليوم تتنكر لنا وكأننا غرباء لم نسر يوما على دروبها، واستبدلت الأوراق التي دونت عليها أسماء شهداء الوطن بأوراق مدونة عليها أسماء أبرياء بطشت بهم حكومة متعطشة للسلطة صنعت فزاعة إسمها الإرهاب".[2]

" هل بلغك مصاب أصيل الشاب الجزائري ابن ولاية البرج بوعريريج الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين؟".[3]

"أما ما حدث أصيل فأحسب للأمر علاقة بالدولة رغم أن البعض يريد تصوير الحادث على أنه فرقعة لتوجيه الرأي العام مع اقتراب الانتخابات".[4]

وقد برز في هذه المقاطع ضرب من اسقاط الأكاذيب بسبب الفترة الحساسة التي تعرض لها الشعب الجزائري من خلال الحراك ومطالبته بحقوقه وإدانة المسؤولين عن قمع حرياته.

وهنا يمكن القول أن ظروف الكتابة على لسان الذات هو لجوء إلى القناع والتخفي لتوجيه رهان الخطاب الأيديولوجي داخله بسبب تفاقم أزمة قمع الحريات فكانت الرواية كشهادة على فترة زمنية حفظت الذاكرة الجماعية والهوية الفردية في آن واحد.

في الأخير يمكن القول أن الرغبة في إعادة تشكيل الذات وتحريرها وإن بدت مشروعا حكائيا تخيليا فإنها تصطدم بماضيها وذاكرتها، رغم كل الأقنعة التي توارت خلفها وما هذا إلا صورة عميقة تتجلى من خلالها الذات وعلاقاتها بمن حولها.

---

[1] الرواية، ص11.

[2] الرواية، ص17.

[3] الرواية، ص39.

[4] الرواية، ص40.

الخاتمة

خاتمة:

في ختام رحلتنا في عالم البحث والدراسة لهذا الموضوع يمكننا الإجابة عن الأسئلة المطروحة مسبقا في النقاط التالية:

- ✓ تعد رواية السيرة الذاتية فنا أدبيا نثريا بالدرجة الأولى، يتطرق من خلالها الكاتب إلى الحديث عن أهم تجاربه بكل واقعية ومصداقية بأسلوب فني يتخلله التخييل.
- ✓ فالكاتب هنا أراد أن يجعل من أحداث هذه الرواية وشخوصها. ملاذا للتنفيس عن كل ما يريد أن يبوح به، فقد عمد الى توظيف مجموعة من الشخوص الوراثية ليكون عمله أكثر اقناعا، واستغل هذه الأسماء لتكون بمثابة قناع يتخفى وراءه ليتمكن من التصرف في أحداث الماضي وإعادة تقديمها حسب وجهة نظره كذلك من أجل تصوير أحداث ووقائع اجتماعية وسياسية.
- ✓ كما ركز الكاتب "ادريس خليفة" في روايته "الخائف" على ظاهرة اجتماعية متفشية بكثرة في الوطن العربي وفي الجزائر على وجه الخصوص وهي الهجرة السرية أو ما يطلق عليها ب "الحرقة"، من خلال ذكره لبعض الأسباب والدوافع التي أدت إلى انتشارها وتحميل المسؤولية إلى الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها الجزائر كذلك أهملت الجهات المسؤولة والسلطة التي كانت عنصرا أساسيا كافيا لظهور هذا النوع من الظواهر الاجتماعية.
- ✓ وجود علاقة طردية لا يمكن تجاهلها بين توظيف القناع في الأدب من جهة وجرأة طرح الموضوعات من جهة أخرى، فكلما تقنع الكاتب واحتجب حاز مساحة أوسع للتعبير الحر الجريء، الذي لا يهتم لا بالقيود ولا بالحدود.
- ✓ استطاع الكاتب من خلال ميثاق السيرة الذاتية أن يبني روايته على أنها سيرة ذاتية محضة لاحتوائها على أحداث حقيقية عاشها المؤلف وقدمها بطابع روائي مع توظيف عنصر آخر وهو التخييل بخلقه لشخوص من نسج خياله، وألبسها أدوارا، ليعبر من خلالها عن كل ما يدور في ذهنه بكل حرية.
- ✓ تمر الرواية السيرة الذاتية عبر محطات الزمن الثلاثة، بدأ بالحاضر الذي يمثل لحظة بدايته الكتابية، مرورا بالماضي وما يرتبط به من أحداث طواها الزمن، وانتهاءا بالمستقبل واستشراف ما سينقع فيه.

هذا باختصار ما توصلنا إليه من خلال بحثنا هذا فنرجوا من الله أن يوفقنا ويسدد خطانا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

المعاجم والقواميس

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، باب الذال، مج3، ج17، دت.
2. أحمد النقشندي الخالدي، معجم الكلمات الصوفية، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 1997.
3. عبد النور جبور، المعجم الادبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1984.
4. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
5. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999.
6. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار تالة، الجزائر، ط1، 2010.

المراجع العربية

ابراهيم الحجري، المتخيل الروائي العربي، (الجسد – الهوية – الأخر)، مقاربة سردية أنتروبولوجية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2013

احسان عباس، فن السيرة الذاتية، الأردن، عمان، ط1، 1999

أحمد حيزم، في مسألة الذات وأحوالها في ديوان البحتري، موارد، تونس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2005

ادريس خليفة، رحلة قريش (الخائف)، دار الكلمات للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2019

ادريس خليفة ، رواية 1312 ، دار الكلمات للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2019

أسامة خيري، تطوير الذات، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1

تهاني عبد الفتاح، شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، 2002

جليلة طريطر، مقومات السيرة الذاتية في الادب العربي – بحث في المرجعيات –، تونس، مركز النشر الجامعي، 2004

حاتم الصكر، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994

حسين المناصرة، مقاربة الرواية، قراءات في نقد النقد، دط، 2008

حسين النعمى، الرواية السعودية واقعها وتحولاتها، ط1، الرياض، وزارة الثقافة والاعلام، وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، 1430ه

حسين خمري، فضاء المتخيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2000

حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، دار القلم، دط، القاهرة، مصر، 1964

دراج فيصل، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1 1999

ساميا بايا، مكون السيرة الذاتية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2011

سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 1997

طه وادي، هيكل رائد الرواية (السيرة والتراث)، ط2، القاهرة، 1996

عبد اللطيف الحديدي، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996

عبد الله أبو الهيف، الجنس الحائر – أزمة الذات في الرواية العربية –، ط1، بيروت، رياض الصلح للنشر، 2003

عبد الله شطاح، نرجسية بلا ضفاف – التخييل الذاتي في أدب واسيني الأعرج –، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003

عبد المجيد حجفة، دلالة الزمن في الرواية العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006

علوش سعيد، مكونات الأدب المقارن، الكتاب اللبناني، ط1، 1987

عمر بن قنة، الأدب العربي الحديث، دار الامة، الجزائر، ط1، 1999

غازي صالح محمود وشيماء عبد المطر، مفهوم الذات، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2011

قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004

محمد أولحاج، بيداغوجيا تحليل الخطاب، السيرة الذاتية، المكونات والروافد، منشورات top edition، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000

محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط1، 1421هـ

محمد حامد الشريف، نظريات أدبية في تاريخ الدولة العباسية، دار خليفة للطباعة، دط، دت

محمد شكري، أسئلة الرواية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ت

محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2007

محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2008

محمد عابد الجابري، الاسلام والعرب (الانا والاخر)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ج1، ط12009،

محمد عبد الغنى المصري ومجد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق، عمان، 2002

محمد منصور، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع (المدارس)، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009

منال بنت عبد العزيز العيسى، تمثيلات الذات المروية على لسان الانا، دراسة في نماذج الرواية العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2011

منية قارة بيبان، صور الذات في مرايا السرد، دار الأفاق برسيكتيف للنشر، تونس، ط1، 2019

موسى ربابعة، جمالية الأسلوب والتلقي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2008

نجيب الحصادي، جدلية الانا والاخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996

ندى بنت محمد الحزامى، الذات في شعر حسين سرحان، دار النشر سرحان، ط1، 2015

يمنى العيد، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

يمنى العيد، في معرفة النص، دار الافاق الجديدة، ط3، بيروت، لبنان، 1985

المراجع الأجنبية المترجمة

1. أس رابورت، مبادئ الفلسفة، تر أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، 2012.
2. إليزابيث بروس، الذات والذوات، السيرة الذاتية في الأدب والسينما، تر عمر حلى، دار القروبين، الدار البيضاء، ط1، 2003.

3. ج.هيو.سلفرمان، نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر حسين ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
4. جوديت بتلر، الذات تصف نفسها، تر فلاح رحيم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015.
5. جورج ماي، السيرة الذاتية، تر محمد القاضي وعبد الله صولة، بيت الحكمة، تونس، 1992.
6. سيغموند فرويد، الانا والهو، تر محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982.
7. فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الادبي، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

8. Mounir laouyen : l'autofiction . une réseption problematique . colloque 99 . université blaise pascal . France . 2000
9. Philippe lejeune .le pacte autobiographique . ed seuil . paris . 1975
10. Stephanie michineau : L'autofiction dans l'œuvre de coltte . thése l'obtention du doctorat de littérature francais . université du main . France . 22 juin 2007
11. Vincent colonna : l'autofiction essai sur la fictionalisation de soi en littérature . linguistic . ecole des hautes etudes en sciences sociales doctorat de l' e.h.s.s .paris . France . 1989

الرسائل الجامعية:

1. أسابوت ذهبية، تشكل الذات في رواية الحمار الذهبي ل أبوليوس لوكيوس النوميدية ، سيميائية ثقافية ، رسالة ماجيستر ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2014
2. إلهام بوذراع وسامية معروف، السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية – من يوميات مدرسة حرة – ل زهور واسيني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة الغربي بن مهيدي، ام البواقي، 2017/2016

3. أميرة بوقلمونة، أزمة الذات في الرواية التاريخية، رواية ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في ميدان اللغة والادب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018.
4. حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية – الرواية العربية الحديثة والمعاصرة – أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتواره العلوم في الادب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2015/2014.
5. خديجة حامي، السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل في روايات فضيلة الفاروق ومذكرة لنيل درجة الماجيستر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013/2012.
6. سكينة عيسوس، السرد السيري والتخييل الذاتي في رواية لعبة السعادة ل بشير مفتي، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر، جامعة8ماي1945، قالمة، 2019/2018
7. سمية عطوى، الذات المقنعة في الرواية الجزائرية، روايات فضيلة الفاروق أنموذجا، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2018/2017.
8. عبد القوي أحمد، السيرة والتخييل في رواية أنثى السراب لواسينى الاعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيستر، مشروع المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، جامعة اللسانية، وهران، 2012-2011.
9. كريمة بن عمروش وكريمة العربي، سردية الرواية السير ذاتية النسوية رواية فرج لرضوى عاشور، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر، جامعة اكلى محند أولحاج، بويرة، 2019/2018.
10. لينـدة خـراب، تنـاص التـراث الشـعبي فـي الروايـة، رسـالة ماجيسـتر، جامعـة قسـنطينة، 1999/1998.
11. محمد شهيري، الخطاب السير الذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة في تجارب هوامش الرحلة الأخيرة ل محمد مفلاح، مزاج مراهقة ل فضيلة الفاروق، مقامات الذاكرة المنسية لـ حبيب مونسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص أدب معاصر، جامعة مستغانم، كلية الأداب واللغات والفنون، 2018/2017.
12. هدى حليمى ووسام سماعيل، تجليات الذات في رواية "سيرة المنتهى كما اشتهتنى " ل واسينى الأعرج، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، أم البواقي، 2019/2018.

المجلات

1. جيروم برونز، صناعة الذات وصناعة العالم، مجلة فصول، ع88/87، 2014
2. د.عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الادب العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، مجلة القسم العربي، ع23، 2016
3. عادل الدرغامي زايد، اشكالية النوع والتجنيس، السيرة الذاتية نموذجا، مجلة علامات، ع 65، النادي الثقافي، جدة، مج 17، 2008
4. عبد الرحمان بغدادي، تعالق المؤلف بالسارد والشخصية، مجلة الثقافية الشهرية، الناشر علي الهواري، ع97، الجزائر، د ت
5. عبد المالك أشهبون، التخيل السير الذاتي في السرد العربي (التركيب والتكوين)، مجلة أبوليوس، فاس، المغرب، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المجلد 6، ع2، 2019
6. محمد برادة، الرواية العربية والاخر، مجلة أوغارين، ع6، 2006
7. مصطفى بوجملين، ثنائية السارد والمسرود اليه، في كتاب نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري، ع10، جزائر، 2014
8. معجب الزهراني، السيرة الذاتية رواية، الثقافة والادب، مجلة القافلة، منتدى أرامكو السعودية

المواقع الالكترونية

1. إلياس فركوس، السيرة الذاتية والرواية، منتدى الجديد، www.aljadeedmagazine.com
2. قحطان بيرقدار، رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل، شبكة الألوكة، www.alukah.net/literature languge/0/4795

فهرس

فهرس

مقدمة.....أ ب ج

مدخل : ماهية الذات

- ✓ مفهوم الذات ص2
- ✓ أنواع الذات ص9
- ✓ حضور الذات في السرد الروائي ص10

الفصل الأول : الكتابة الذاتية بين السيرة و التخييل

- ✓ ماهية السيرة ص14
- ✓ أنواع السيرة ص15
- ✓ مفهوم رواية السيرة الذاتية ص17
- ✓ أنواع رواية السيرة الذاتية ص21
- ✓ المكونات الفنية لرواية السيرة الذاتية ص22
- ✓ تعالق السيرة الذاتية بالرواية ص25
- ✓ انفتاح الخطاب السردي على الأجناس الأدبية ص28
- ✓ الميثاق السيري و النزوع الذاتي ص30
- ✓ ماهية التخييل الذاتي ص32
- ✓ وظيفة التخييل الذاتي ص34
- ✓ الواقع و المتخيل في السير الروائية ص35
- ✓ رهانات التخييل السير الذاتي في السرد ص37

الفصل الثاني : ملامح الكتابة الذاتية في رواية رحلة قريش " الخائف "

- ➢ لمحة عن الروائي و الرواية :
  - ✓ نبذة عن الكاتب ص40
  - ✓ تقديم و ملخص عن الكتاب .....ص40 ،41
- ➢ آليات السرد الذاتي في رواية " الخائف " :
  - ✓ الميثاق السير ذاتي ص42
  - ✓ التخييل الذاتي ص44
  - ✓ الميثاق الروائي ص45

✓ الشخوص الحكائية :
✓ تمثيلات الشخصية الرئيسة ص46
✓ حضور الشخصية الثانوية ص48
✓ الفضاء المكاني :
✓ الأماكن المفتوحة ص53
✓ الأماكن المغلقة ص55
✓ المفارقات الزمنية :
✓ الاسترجاع ص58
✓ الاستباق ص61
➢ تجليات الذات الساردة في رواية رحلة قريش " الخائف " :
✓ صور الذات في المتن الروائي :
✓ الذات المتمردة و النقمة المعلنة ص62
✓ الذات الجريحة بين القناع و حميمية البوح ص64
✓ الذات النرجسية ص65
✓ الذات الملتزمة و الايديولوجيا العائمة ص66
✓ الذات المغتربة و اوجاع الانتماء ص67
➢ نجوى الذات ص69
➢ رؤيا الذات و مركزية الخطاب ص69

خاتمة ص73

قائمة المصادر و المراجع ص75

فهرس ص82

ملخص الدراسة

جنح الخيال بالأدب الى أبعد أفاقه، وذلك بالولوج الى مختلف النصوص الأدبية وبخاصة الدخول الى عالم السرد، وهذا ما نستشفه من خلال واقع جديد، فهو مخلوق أكبر من محيطه وواقعه، فالتخييل جزء من الحلم الانساني الخالد الذي تتحقق منه الأشياء وتتجدد فيه على مر العصور وبه نستطيع أن نرى الى الأمام ونستشرف الأفاق.

وفي كنف هذا التصور أتى انجاز مشروع بحثنا الموسوم ب " تجليات الذات الساردة بين السيرة والتخييل في رواية رحلة قريش (الخائف) ل ادريس خليفة " ، رغبة منا في الكشف عن استراتيجيات الذات التى تقف وراء البناء التخييلي ، هروبا من اكراهات الواقع وتناشد لعالم أخر أكثر ابداعا وذلك عبر تسليط مقاربتنا على العناصر و المكونات المشيدة لهذا العالم المتخيل وكيف استطاع السارد تكييف مادته الحكائية في قالب روائي تخييلي كان للذات الحضور الأكبر فيه ، مما ساعد على اثراء وتثمين حبكته بصور مشيدة لعوالم متميزة ، داخل ابتكار مرن و متجدد و غير محكوم بعوالم ثابتة .

كلمات المفتاحية: الذات الساردة، التخييل الذاتي، رواية السيرة الذاتية.

Summary

The imagination took literature to its farthest reaches, by accessing various literary texts, especially the world of narration, which we find through a new reality, which is a greater creature than its surroundings and reality. Fiction is part of the eternal human dream that things will reality and renew throughout the ages and that we can look forward and see the horizon.

Throughout this perspective, we carried out our research which is entitled “The Reflections of the Narrating Self between the Biography and Fiction in the novel of the Trip of Quraish (The Afraid) by Idris Khalifa. This research aims at revealing the self-strategies behind the fictional structure, away from the realty constraints and seeking for a more creative world. This is through applying our approach on the elements and components that construct this fictional world, and how could the narrator adapt his story events in a fictional novelistic form, where the “self” took the lion share. This helped enrich and value the narrator’s plot with images depicting distinct worlds, within a flexible, renewable and unbounded

innovation. Keywords: the Narrating self, the Autofiction, Autobiography novel.